سلسلة البناء والترشيد

19

هكذا تكون الأمهات

الأستاذ الدكتور
عبد الكريم بكّار

تقديم

فضيلة الشيخ الداعية
محمد عدنان السقا

الشيخ المهندس
أحمد معاذ الخطيب الحسني

155.4
ب ع هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين صدق الله العظيم

هكذا تكون الأمهات

حقوق الطبع محفوظة لـ:

نحو القمة
للطباعة والنشر
سورية - حمص

الطبعة الأولى: 1425- 2004

الطبعة الثانية: 1427- 2006

توزيع بيت العلم للسمعيات والمرئيات:

سوريا – حمص - هاتف: 00963 94 207938 – 00963 31 511077

جميع أعداد السلسلة تطلب من:

- ✓ دار الفكر، دمشق، هاتف 2239717 – 2211166
- ✓ مكتبة البرهان، الإمارات، هاتف: 0505667381

عملي في هذه السلسلة:

(1) وضع عنوان للمحاضرة، أو الخُطبة، وتقسيمها إلى فِقرات، وعنونة الفِقرات.

(2) إعادة الصياغة، بالتنسيق، والصقل، وحذف التكرار.

(3) تخريج الآيات، والأحاديث. (4) إضافة بعض التعليقات في الحاشية.

(5) عرض العدد بحلته الأخيرة على صاحبه. (6) التعريف بالمؤلف من غير استئذانه..

وأخيراً..الدين النصيحة، والمرءُ قليلٌ بنفسه، كثيرٌ بإخوانه؛ لذا أنتظر سماع صدى الصوت الذي أوصلته لكم، وهذا سبيله المراسلة.

عصام عبد اللطيف عبد المولى: homs1420@yahoo.com

سلسلة البناء والترشيد (19)

هكذا تكون الأمهات

الأستاذ الدكتور

عبد الكريم بكّار

تقديم

فضيلة الشيخ الداعية

محمد عدنان السقا

الشيخ المهندس

أحمد معاذ الخطيب الحسني

الشباب القوي الذكي ثمرة طفولة:
نجتْ من الإهمال والضياع..
وتَعَهدتْها امرأة واعية...

(قضايا المرأة، الشيخ محمد الغزالي، ص: 133)

أخي القارئ..أختي القارئة:

عدد كلمات هذا الكتاب **11390** كلمة تقريباً، فإن كان معدل قراءتكَ في الدقيقة الواحدة **170** كلمة، فأنتَ بحاجة إلى **67** دقيقة لإنهاء قراءة هذا الكتاب.. .فلنَحرِص على ما ينفعنا..

مقدمة الشيخ الداعية عدنان السقا:

الحمد لله رب العالمين، خالق الخلـق، خلـق فـسوى، قـدر فهـدى، خلق الإنسان في أحسن تقويم..خَلَق في الإنسان العواطـف، والغرائـز، جعل عاطفة الأمومة؛ ليتربى الطفل من خلالها محاطاً بالعناية والرعاية..

هذا الدور العظيم الذي تقوم به الأم، لا يمكن أن يقوم به غيرها؛ فهي العنصر الأهم في التربية المبكرة..

وقضية التربية اليوم من أهم القضايا؛ فهـي التـي تـدفع إلى الأمـة بعناصر الهدم أو البناء.. عناصر الرقي أو التأخر..

نحن في عـصر صـار دور الأم فيـه هامـشياً؛ حيـث أُشـغلت الأم باهتمامات أخرى شغلتها عن مهمتها الأساسية في تربية الأجيال..

وتأتي هذه الكتابات البناءة لتساهم في أن تأخذ المـرأة الأم دورهـا في بناء الأجيال التي تنهض بها الأمة..

ويضع الدكتور **عبـد الكـريم بكـار** في هـذه الرسـالة ملامـح التربيـة الناجحة مع نماذج من التاريخ والواقع، يبـين أهميـة الأم ودورهـا في تربيـة أجيال الأمة..وهي بدايةٌ لكتاباتٍ ومـساهماتٍ كثـيرة تـدعم هـذا الاتجـاه، ونرجو أن تُثمر هذه الرسائل في إيجاد وعي شامل تنهض به الأمة..

والحمد لله..

مقدمة الشيخ الداعية معاذ الخطيب:

الحمد لله الذي أنعم على عباده بالهداية، وأفضل الصلاة والسلام على نبي الرحمة محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعه.. **أما بعد:**

فإن التطور العالمي أصبح يحاصر تربيتنا الخاصة، ويهمّش دور المجتمع والمسجد والأسرة والمدرسة، ويفرض ما يحلو له من مبادئ وتوجهات، وكل ذلك يقتضي جهداً استثنائياً، ونزوعاً متجدداً نحو الابتكار والريادة في التفكير، والمحافظة على نقاء تربيتنا الإيمانية.

إن التربية علم وخبرة وجمال وفن، ويقدم أستاذنا الدكتور **عبد الكريم بكار** في هذه الرسالة اللطيفة (كعادته جزاه الله عنا كل خير) طيفاً واسعاً ودقيقاً من المحاور الرئيسة اللازمة في طريق التربية المدهش والطويل.

إن مصيرنا كله رهنٌ بمقدار نجاحنا في تربية أولادنا، وإدراك هويتنا وخصال الخير فينا، والبعد عن كل ما يشوب صفاء الدرب الذي كرمنا الله به بين العالمين.

الناجح لا يبنيه إلا الناجح، وعلينا أن نبدأ الرحلة معاً فنربي أبناءنا مع إعادة بلورة وصقل أنفسنا؛ فنعيد استنبات وازع الخير، ونبتعد عن النفاق الاجتماعي، ونعمق الثبات على المبدأ في نفوسنا، ونجدد تمسكنا بالسنن النبوية والآداب الشرعية، ونحيط ذلك كله بلمسة من الجمال في الخلق والسلوك والإدراك، ونتمدن ونرقى في لغة خطابنا، ونتعرف

إلى الحسن فيكون لنا منه أوفى حظ، ونتعلم اجتناب القبيح كله، وندرك أن روح التضحية والإيثار شرط رئيس في كل عمل صالح، وأن التأقلم الاجتماعي الإيجابي مقدمة لصواب الضرب في الأرض وصناعة الحياة الصالحة، كما أن اجتناب بعض الموروثات التي تنكبت الصواب شيء لا يمكن غض النظر عنه.

هناك ثغرات عديدة لابد أن تُسد، وحاجات أساسية لابد أن تلبى، وإلا أرهقنا أولادنا من أمرهم عسراً، وقد ولدوا لغير زماننا، وما أصابنا نحن من لمم تربوي ونقص في البناء فعلينا أن ننتبه كي لا ننقله إلى فلذات أكبادنا.

كثير كثير هو الخير الذي فينا، ولكن المؤمن لن يشبع من خير حتى يكون منتهاه الجنة كما ورد في حديث حسن عن الهادي المعلم صلى الله عليه وآله وسلم... **فلنغرف** من معين الخير، **ولنستفد** من كل حرف خطه قلم أستاذنا، وبعد العمل فلنرفع أيدينا إلى الله أن يحفظنا ونساءنا وأبناءنا وبناتنا، وأن يجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر؛ هداة مهديين غير ضالين ولا مضلين سِلماً لأوليائه، حرباً على أعدائه، نحب بحبه من أحبه، ونعادي بعداوته من عاداه... **اللهم آمين..**

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أحمد معاذ الخطيب الحسني

مُقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..**أما بعد..**

فإني أحمد الله على أن وعياً جديداً حول أهمية التربية، بدأ يتشكل الآن في الكثير من البيئات الإسلامية – إنْ لم أقل في جميعها- حيث بدأ الناس يشعرون بقيمة الفرد وبقيمة توجيهه وإرشاده.

والأهم من هذا الانتباه إلى أهمية المعرفة التربوية في نجاح الأسر في مهامها التربوية الجليلة...فقد ظهر لكثيرين منا أن تربية الأبناء بعين الأسلوب الذي ربينا به، ستكون قاصرة وربما ضارة، وهذا يدعو إلى السرور والاغتباط.

إن التغيرات العالمية السريعة، تحتم علينا اليقظة الكاملة؛ حتى لا يضيع أبناؤنا من بين أيدينا دون أن نعي على نحو جيد الدور التربوي الذي يجب أن ننهض له.

فقد صار في إمكان الطفل والفتى والشاب أن يتجول في أنحاء العالم ، من خلال الضغط بإصبعه على بضع أزرار، وهذا يؤدي إلى:

- ✓ اختلاط النماذج في ذهنه وإلى الاستخفاف بالأعراف السائدة في بيئته المحلية.
- ✓ حدوث اضطراب في التعامل مع الواقع، ما لم نوله الكثير من العناية والمتابعة.

وإني لأشكر الأخ الكريم الأستاذ عصام عبد المولى على جهده الموفق في نشر العلم، وأسأل الله ألا يحرمنا وإياه الأجر.. **والحمد لله رب العالمين.**

أ.د. عبد الكريم بكار

الرياض: **18** رمضان **1424 هـ**

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، إمام النبيين وخاتم المرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيلهم، ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين..

لقد أكرمنا الله تعالى بالمنهج الأقوم، الذي يشكل الدليل والهادي إذا تاهت البشرية عن الطريق المستقيم، ونحن إلى جانب هذا المنهج نملك تاريخاً مستطيلاً في الزمان، ومستعرِضاً في المكان، ونملك تراثاً ضخماً، ليس لكثير من الأمم نظيرٌ له.

وإني في رسم الصورة التي ينبغي أن تكون عليها الأم المسلمة، سأمزج الصورة المثلى المستوحاة من المنهج الرباني، ثم ما لدينا من خبرات تربوية...سأمزج تلك الصورة بما سجله التاريخ من المواقف الجميلة والمؤثرة للأم المسلمة، وهي تلقِّن أطفالها المبادئ والقيم السامية، وبذلك نوظف التاريخَ في إصلاح الواقع والنهوضِ به.

الاهتمام بالتربية

لا يخفى أن الناس يتحدثون اليوم باستفاضة عن الاهتمام بالتربية عامة والتربية البيتية خاصة؛ بوصفها الأداة التي يمكن أن تستخدمها كل الأسر الواعية في إصلاح أحوال أبنائها ومجتمعاتها، وهذا الاهتمام في محله في الحقيقة.

ومع أن التربية الجيدة لن تحل كل مشكلاتنا، ولا ينبغي أن نطلب منها ذلك، إلا أنها توجِد الأساس الضروري للتعامل مع كل المشكلات.

في عصر العولمة يُهمَّش دور المدرسة في التعليم والتوجيه؛ حيث تتكاثر مصادر التثقيف المستقل على نحو سرطاني.

ويتهمّش دور الأسرة والمجتمع في ممارسة الرقابة على الناشئة؛ بسبب اتساع مساحة الخيار الشخصي وتعمّق الإحساس بالفردية والحرية والاستقلال.

ولكن لن يستطيع أحد أن ينزِع منا دورنا التربوي في بيوتنا إذا أصررنا عليه وامتلكنا ما يكفي من الوعي والإرادة للقيام به. وهذا كله يفرض علينا: **أن** نوجِّه أهميةً استثنائية لوظيفة المنزل في تأسيس شخصية الطفل، وصياغة عقله ونفسه وعلاقاته. **وأن** نؤكد على دور الأم في ذلك بوصفها العنصر الأقرب إلى روح الطفل وعقله.

وظيفة المرأة الأساسية

إن الله ﷻ قد زود الأم بشيئين عظيمين يؤهلانها حقاً لأنْ تكون المربيَ الأكبر، وهذان الشيئان هما: حنانٌ غير محدود.. وصبر لا يعرف النَّفاد.

وهذا فإن الوظيفة الأساسية للمرأة في الرؤية الإسلامية هي رعاية الطفولة، وبذرُ بذورِ الخير والصلاح والاستقامة في نفوس الأطفال.

ومن أجل تحقيق ذلك أمر الله ﷻ النساءَ بالقَرار في البيوت حين قال: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ.. ﴾ [الأحزاب: 33]

القرار مفتاح النجاح

ومن أجل مساعدة المرأة على القيام بوظيفتها تلك، يُكلَّف الرجل سواء أكان أباً أو أخاً أو زوجاً أو ابناً بالإنفاق عليها.

وليس في ملازمة المرأة لبيتها ما يَغضُّ من قدرها، أو ينتقص من كرامتها، كما يحاول تصويرَ ذلك أهل الأهواء والشهوات، فما دام المنزل هو المكانَ الأساسي لممارسة نشاطها، فإن من الطبيعي أن تكون ملازمتها له شرطاً من شروط نجاحها في مهماتها، كما أن من الطبيعي أن يمكث كل الأشخاص الناجحين في حقول أعمالهم أطول فترة ممكنة، وكلما طالت تلك الفترة كانت أعون على النجاح وأدعى له.

ويوجهنا الإسلام في مقابل الدور العظيم للأم في خدمة الأمة إلى أن يكون نصيبها من الاحترام والتقدير والاعتراف أوفرَ نصيب.

وقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رَسُولَ الله.. مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي.؟ قال: **أُمُّكَ**. قَال: ثُمَّ مَنْ.؟ قَال: **ثُمَّ أُمُّكَ**. قَال: ثُمَّ مَنْ.؟ قَال: **ثُمَّ أُمُّكَ**. قَال: ثُمَّ مَنْ.؟ قَال: **ثُمَّ أَبُوكَ**..[1]

وقبل أن أتحدث عن مهام الأم التربوية والأخلاقية سألفت النظر إلى أن المرأة قبل أن تكون مربية فاضلة هي إنسانة فاضلة.

ومن الصعب جداً على كل من الرجل والمرأة أن يقوم بدوره التوجيهي إذا لم يكن هو بحد ذاته منسجماً مع ما يقول؛ فالفضيلة ليست أقوالاً ندبِّجها وننمقها، وإنما هي إيحاءاتٌ تُشعها ذاتٌ فاضلة.

أهمية القدوة

ومن الطرق القديمة الجديدة في ترقية الذات والسمو بها أن يتخذ الواحد منا نموذجاً وقدوةً يقلده في جلِّ شأنه أو بعضه.. وأنصح أخواتي الفاضلات أن يقرأن ما كُتب عن أمهات المؤمنين وأعلام الصحابيات -رضوان الله عليهن- ومَن جاء بعدهن من صفوة المؤمنات، وليحاولنَ الاقتباسَ من هديهن وعزائمهن، والتعلمَ منهن أداءَ الأدوار الكريمة العديدة التي تؤديها المرأة في حياتها:

---

(1) البخاري، كتاب: الأدب، باب: من أحق الناس بحسن الصحبة..رقم: **5626** ؛ مسلم، كتاب: البر والصلة..باب: بر الوالدين...رقم: **25**

أَمةً لله، وابنةً في أسرة، وزوجةً، وأماً، ومربيةً.

لتحاول المرأة الدخول إلى عالم إحداهن، والتعمقَ في فهم سيرتها، ثم تقليدَها فيما يصلح لحياتنا المعاصرة.. وسأذكر على سبيل التمثيل لقْطات سريعة من سيرة امرأة من فُضليات الصحابيات، تنمُّ عن نمط متميز جداً من نساء العالمين.

وهذه المرأة التي اخترنا من حياتها هذه اللقطات هي أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما وقد رأينا أن تُعبّر كل لقطة عن جانب من حياتها.. فعن أسماء رضي الله عنها أنها قالت: تزوجني الزبير وما له في الأرض مال ولا مملوك إلا فرسه، فكنت أعلف فرسه، وأكفيه مؤونته وأسوسه وأدق النوى الناضجة وأعلفه وأسقيه الماء..وكنتُ أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله على رأسي، وهي على ثلثي فرسخ..فجئتُ يوماً والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله ومعه نفر من أصحابه، فدعا لي؛ ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذَكرتُ الزبيرَ وغيرَته، وكان من أغير الناس..فعرف رسول الله أني قد استحييت فمضى...حتى أرسل إليّ أبو بكر رضي الله عنه بعد ذلك بخادمة، فكفتني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني.. [1]

---

(1) البخاري، كتاب: النكاح، باب: الغيرة. رقم: 4926 ؛ مسلم، كتاب السلام، باب: جواز إرداف المرأة الأجنبية.. رقم: 2182

هذه هي الزوجة المسلمة، عونٌ لزوجها في كل ما يمكن أن تقوم به مما يعود على معاشهما بالصلاح..**وهذه** هي الزوجة المسلمة في مراعاتها لمشاعر زوجها، فقد رفضت الركوب خلف المعصوم ﷺ خشية أن يجد الزبير ﷺ في نفسه شيئاً بسبب ذلك.

وعنها ﵂ أنها قالت: قَدِمتْ عَلَيَّ أُمِّي، وهي مُشْرِكَةٌ- وكان أبو بكر ﷺ قد طَلّق أمَّ أسماء قبل أن تأتي إلى المدينة- فَاسْتَفْتَيْتُ الرسول فقلتُ: يا رسولَ الله قَدِمَتْ عليَّ أُمِّي، وهي راغبةٌ- أي طامعة في أن تنال شيئاً من الإكرام- أَفَأَصِلُ أُمِّي.؟ قال ﷺ: نعمْ صِلِي أُمَّك.[1]

هذا والله منتهى الالتزام بأمر الله ﷻ وهل هناك أعظم من أن تتردد امرأة في بِر أمها، وهي قادمة إلى دارها من مكة إلى المدينة؛ خوفاً من أن يكون في ذلك ما يجرح الولاء لله ولِدين الله.

وفي رواية أن أم أسماء جاءت إلى أسماء ﵂ بهدايا، وكانت وقتها مشركة، فلم تقبلها أسماء ﵂ حتى سألت النبي ﷺ [2]. إنه لدرس عظيم في ضرورة تأطير العلاقات – مهما كانت خاصة- بإطار الشرع..

---

(1) البخاري، كتاب: الهبة وفضلها.. باب: الهدية للمشركين رقم: **2477** ؛ مسلم، كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة. رقم: **1003**

(2) قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير..وفيه مصعب بن ثابت، ضعفه أحمد وغيره، ووثقه ابن حبان. (مجمع الزوائد، كتاب: البيوع باب: في هدايا الكفار. رقم: 6750)

وذكر ابن حجر أن أسماء رضي الله عنها بلغت مئة سنة، لم يسقط لها سن، ولم يُنكر لها عقل.. [1] وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على اهتمامها بصحتها ونظافتها الشخصية، وهذا ما ينبغي أن تحرص عليه المرأة.

شجاعة السيدة أسماء

وكانت أسماء رضي الله عنها إلى جانب ذلك تملك شجاعة أدبية نادرة، ولا تخاف في الله لومة لائم.. فقد أَرْسَلَ الحجاج إِلَيها، يطلب حضورها إليه، وذلك عندما قُتل ابنها عبد الله بن الزبير، فأَبتْ أن تَأْتِيَهُ، فأعاد عليها الرسولَ: لَتَأْتِيَنِّي أَوْ لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْك من يَسْحَبُكِ بِقُرُونِك.!

فَأَبتْ.. وقالت: واللهَّ لَا آتِيكَ حَتَّى تبعثَ إِلَيَّ من يَسْحَبُنِي بِقُرُونِي. فانْطلق الحجاج حتى دخل عليها.. فقال: كَيْفَ رَأَيْتِنِي صَنَعْتُ بِعَدُوِّ الله.؟ يعني ابنها. قالت: رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عليه دُنْيَاهُ، وأَفْسدَ عليك آخِرتكَ..أَمَا إِنَّ رسول اللهَّ ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّاباً ومُبِيراً.. فأَمَّا الكذَّابُ فرأَيْناهُ[2]، وأمَّا المُبِيرُ [3] فَلَا إِخَالُكَ إِلَّا إِيَّاهُ..

---

(1) الإصابة، ابن حجر، 7/ 487

(2) تقصد المختار بن عبيد الثقفي.

(3) المسرف في إهلاك الناس.

فقام الحجاج عنها ولم يُرَاجِعْها.. [1] وكان ذلك قبل وفاتها بأيام قليلة، وهي بنت مئة سنة.

صبرها

ولها رضي الله عنها في الصبر على المصيبة واحتسابها موقف عجيب، يندر أن يكون مثلُه للرجال فضلاً عن النساء.

فقد قيل لابن عمر رضي الله عنهما إن أسماء في ناحية المسجد، وذلك حين صُلب ابنها، فمال إليها فقال مواسياً: إن هذه الجثث ليست بشيء وإنما الأرواح عند الله، فاتقي الله واصبري. **فقالت**: وما يمنعني، وقد أُهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل [2].

أي: إن قتل الأخيار على أيدي الفجار أمر مألوفٌ غير مستنكَر.

هذه هي أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وعن أبيها، نموذج نبيل وعظيم لما يمكن أن تبلغه المرأة المسلمة، من إيمان وسمو وكمال وخدمة للزوج ونصرة للحق.

إن المطلوب هو التأسي والاقتداءُ والتشبه بهذا النموذج الكريم.

---

(1) مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: ذكر كذاب ثقيف ومبيرها، رقم: 2545

(2) سير أعلام النبلاء، الذهبي، 2/ 295

هناك ما يشبه الإجماع لدى علماء التربية والسلوك على أن الخطوط العميقة في شخصية الطفل، تتشكل في السنوات الست الأولى من عمره، أي قبل ذهابه إلى المدرسة. والسنوات الثلاث الأولى من حياة كل إنسان هي ميلادٌ ثانٍ له، وفيها تتشكل ملامح وأسس السلوك الاجتماعي، الذي يظل ثابتاً مدى الحياة[1].

الإنسانية لا تورث

إن الطفل حين يولد يكون ناقصَ الإنسانية، فهو لا يرثها عن أبويه، وإنما يكتسبها - وهذه نقطة مهمة للغاية- عن طريق التربية والمخالطة الأسرية والاجتماعية.

يكتسب الطفل الفكر والأخلاق والمشاعر واللغة ومعايير الخطأ والصواب، وإنَّ وَلَدَ الإنسان لا يصبح إنساناً إلا إذا رباه إنسان، ومن هنا يأتي شرف المهمة التي تقوم بها الأمهات في البيوت.

أمور هامة في تنشئة الأطفال

وأود هنا أن أشير إلى المهم جداً من القيم والمبادئ والمثل التي على الأم أن توليَها كل اهتماماتها، ثم أعرج على نحو سريع على البيئة التي

---

(1) إلا إذا أصيب الشخص بصدمة تربوية، والتي هي أقوى من أي تأثير.

على الأم توفيرُها لنمو أطفالها، وعلى الأسس والشروط والأساليب التي تساعدها في عملها العظيم في تنشئة الأجيال؛ إسهاماً في بناء الحياة الكريمة الصالحة:

الأمر الأول: تنمية الوازع الديني

ينبغي على الأم أن تلقن طفلها التعرفَ على الله ﷻ وحبَّه.

وأنه هو الخلاق الرزاق المعطي الكريم اللطيف الخبير، الذي يستحق أعظم الحمدِ والشكر.. **وأنه** سبحانه المطلع على أحوال عباده، البصير بنواياهم وأعمالهم، مما يقتضي مراقبته والإخلاص له والخوف من عقابه.

وقد دلنا على ذلك النبي ﷺ من خلال موعظته العظيمة، حين قال لابن عباس رضي الله عنهما، وهو راكب خلفه على دابة:

« احفظ الله يحفظك.. احفظ الله تجده تُجاهك..إذا سألت فاسأل الله.. وإذا استعنت فاستعن بالله..واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك.. ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك..رفعت الأقلام وجفت الصحف.. [1]»

---

(1) الترمذي، كتاب: صفة القيامة..رقم: 2516 وقال هذا حديث حسن صحيح.

وقد كانت أم أنس بن مالك رضي الله عنها، تلقن أنساً ابنها الشهادتين، وتشير إليه بقولها: لا إله إلا الله..قُلْ: أشهد أن محمداً رسول الله.. وكان مالك زوجها يقول: لا تفسدي عليّ ابني.!!

فتقول: إني لا أفسده [1].

الأم الفاضلة تربط أطفالها بالله ﷻ من خلال السؤال تارة، ومن خلال التعليم والتلقين تارة أخرى، كأن تقول له:

مَن الذي وهبك هذا الشعرَ الجميل..؟ **ومَن** الذي رزقنا هذا الطعام الذي نأكله..؟ **ومَن** الذي يضيء لنا في النهار؛ حتى نبصر طريقنا..؟

فإذا أخطأ في الإجابة شرحت له وعَلَّمته.

بإمكان الأم إذا طلب ولدها شراء شيء، أن تقول له: اطلبه من الله ﷻ حتى يرزق أباك، فيحضره لك.. **وبإمكان** الأم إذا لاحظت كذباً على ابنها، أن تقول له: ألا تشعر أن الله ﷻ مُطلع عليك، ويعرف أنك تكذب..

وهكذا تتم تنمية الوازع الداخلي، وتربية الحاسة الخلقية، وتكوينُ أحاسيس المراقبة لله ﷻ والشعور بمعيته.

---

(1) الطبقات الكبرى، ابن سعد، 8/ [redacted] ؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي، 2/ 305

ونحن في أيامنا هذه أحوجُ ما نكون إلى ترسيخ هذه المعاني:

حيث تصطبغ الحياة أكثرَ فأكثر بصبغة مادية قاتمة.

وحيث أضحى لكثير من الناس سلوكان وموقفان، خيرهما الذي يظهر للعَيان.

وحيث انتشر الغش في المعاملات، وأكلُ الحقوق، والتحايلُ على النظم السارية: من مراقبة الله ﷻ وحبه ورجائه، يتكون خلق الاستقامة، وتحمُّلُ المسؤولية والانضباط الذاتي، ومن تحمل المسؤولية تنبثق الشخصية.

وقد ذكروا أن ابن عمر رضي الله عنهما كان في سفر، فرأى غلاماً يرعى غنماً، فقال له: تبيع من هذه الغنم واحدة.؟ فقال الغلام: إنها ليست لي..

فقال ابن عمر ممتحناً للغلام ومختبراً ذكاءه: قل لصاحبها إن الذئب أخذ واحدة منها.! فقال الغلام: فأين الله.. [1]

فكان ابن عمر يردِّد إلى مدة مقالة ذلك الغلام:

فأينَ الله..؟ فأينَ الله..؟

---

(1) قال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، غير عبد الله بن الحرث الحاطبي، وهو ثقة. (مجمع الزوائد، كتاب: المناقب. باب: ما جاء في عبد الله بن عمر. رقم: 15866)

وحتى تعزز الأم المعانيَ التي ذكرناها، وتزرعها في نفس الطفل، فإن عليها أن تكثرَ في حالة التعليم والتوجيه والنهي والزجر من الألفاظ والمصطلحات المرتبطة بالشريعة.

مثل أن تقول للصغير: هذا واجب..هذا مما يحبه الله..هذا مما يرضي الله..هذا حرام..هذا يجوز..هذا لا يجوز..هذا مما يُغضب الله...

النفاق الاجتماعي

وكثيراً من الأمهات تستخدم عوضاً عن هذه الألفاظ ألفاظاً تُعزز الاهتمامَ بآراء الناس، ولا تساعد على تنمية الوازع الداخلي.!!

فمنهن من يقلن: هذا عيب..وماذا سيقول عنا الناس إذا عرفوا ذلك..هذا يجعل انطباعات الناس عنك سيئة..

والأم التي تفعل ذلك توحي إلى طفلها من طرْف خفي بأنه لا بأس إذا فعل ما تنهاه عنه، بشرط ألا يراه الناس، وبذلك تؤسس لدى ابنها النفاق الاجتماعي.

الأمر الثاني: الثبات على المبدأ

الذات المعنوية هي عبارة عن جملة من المعتقدات والمسلمات والرؤى والمثل والمبادئ والرموز..وعلى مقدار وضوحها في ذهن

صاحبها، وعلى مقدار انسجامها معها يكون تماسك الشخصية، وتكون مواقفه وسلوكاته منطقية.

الثبات على المبدأ هو مطلب شرعي قبل كل شيء..

فالحقُّ حقٌّ.. إلى قيام الساعة. والباطلُ باطلٌ.. إلى قيام الساعة.

وإحقاق الحق وإزهاق الباطل من مهمات المسلم الرئيسة في هذه الحياة.

وبسبب الرغبات الجامحة في تحقيق المصالح.. **وبسبب الخضوع** لضغوطات ظروف الحياة، والعيش في الزمن الصعب.. **يتنازل** كثير من الناس عن مبادئهم وقيمهم وأخلاقهم، حيث يتحول كثير منها إلى شعارات فارغة من أي مضمون.

ولذا فإن الذي يبغي التمسك بمبادئه، في الوقت الذي يحقق فيه مصالحه إلى الحد الأقصى، إنما يحاول الجمع بين نقيضين، ولا بد من التخلي عن أحدهما في لحظة ما.

والمسلم الحق يمتلك القدرة على التضحية بشيء من مصالحه في سبيل الاستمساك بما يؤمن به.. ولهذا فإن الأم المسلمة مطالبة **بأن:**

- تُعليَ من شأن الثبات على المبدأ في نفوس أبنائها.
- وتنميَ لديهم القدرة على التخلي عن بعض المكاسب؛ في سبيل البقاء على الطريق الصحيح.

- وتراقبَ عن كثب التطلعات غيرَ المشروعة، التي تنشأ في نفوسهم، والتي تأتي غالباً من النماذج السيئة التي يراها الأطفال في بيئتهم الاجتماعية.

والذي ينظر في حياة النبي ﷺ يجد أنها عبارة عن سلسلة من المواقف العظيمة، التي يُضحَّى فيها بالمصالح من أجل المبادئ.

وكلنا يعلم موقفه من عروض قريش عليه، وقد عرضوا عليه الجاه والمال، في سبيل التخلي عن دعوته ورسالته.

وكلنا يعلم رفضه الاستسلام لضغوط قريش، حيث قال لهم:

« **ما أنا بأقدرَ على أن أَدَعَ ما بُعثتُ به، من أن يَشتعلَ أحدُكم من هذه الشمس شعلة من نار..** أي: إنّ عجزي عن ترك دعوتي أكبر من عجز أحدكم عن مطاولة الشمس، واقتباس شعلة منها.

فقال أبو طالب -والذي مات مشركاً- شاهداً على صدق النبي ﷺ: **ما كذب ابن أخي قط..**[1] » وسلوكه ﷺ في المدينة مع الصحابة، ومع خصومه ناطقٌ دائماً: **إنّ الرجلَ رجلُ مبادئ.**

---

(1) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وأبو يعلى، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح.

(مجمع الزوائد، كتاب: المغازي والسير، باب: تبليغ النبي ما أرسل به.. رقم: 9809)

وتعلمنا أسماء رضي الله عنها ذات النطاقين مرة أخرى، كيف يكون الثبات على المبادئ في المواقف الحرجة، ولو كان الثمن هو الموت.

وذُكر أن الحجاج حاصر ابن الزبير، في مكة المكرمة قريباً من سبعة أشهر إلى أن ظفِر به، وكان ذلك في جمادى الأولى عام **73** للهجرة، وقبل أن يتمكن جيش الحجاج من عبد الله، دخل هو وأخوه عروة بن الزبير على أمهما أسماء رضي الله عنها وقد أَسَنَّتْ، وكانت إلى جانب ذلك قد عميت، فقال لها عبد الله: يا أمهْ.. خذلني الناس حتى ولدي وأهلي.. والقوم "أي جماعة الحجاج" يعطونني ما أردت من الدنيا، فما رأيك..؟

فقالت: أنت والله يا بني أعلمُ بنفسك:

إن كنتَ تعلم أنك على حق وإليه تدعو، فامض له؛ فقد قتل عليه أصحابك، ولا تُمكِّن من رقبتك يتلعب بها غلمان أمية.

وإن كنت إنما أردتَ الدنيا، فبئس العبد أنتَ، أهلكت نفسك وأهلكت من قُتل معك... **وإن** قلتَ: كنتُ على حق، فلما وهن أصحابي ضعفتُ، فهذا ليس فعلَ الأحرار ولا أهل الدين. فقال: هذا والله رأيي. فدنا ابن الزبير فقبل رأسها وعانقها، فأحستْ بدرعٍ على صدره، فقالت: ما هذا صنيع من يريد ما تريد.[1]

---

(1) تاريخ الطبري، **539/3** السنة الثالثة والسبعون، خبر مقتل عبد الله بن الزبير.

قال: ما لبستُ هذا الدرع إلا لأشد منك " الخوف عليك"

قالت: انزعه. قال: يا أمهْ إني أخاف أن يمثلوا بي.

قالت: إن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها..

وقد قُتل عبد الله ﷺ في صباح اليوم التالي، وماتت أمه بعد أيام قليلة.

هذا الموقف بالغ التأثير وبالغ العظمة، وإنه لأمر مثير أن تقف هذا الموقف، الذي يزلزل كثيراً من الرجال امرأةٌ عمياء هرمة، ولكنها بِنتُ الصديق، وإحدى المتشبعات بمعاني هذا الدين القويم.

في زماننا هذا بات التوكيد على التمسك بالمبدأ أكثرَ إلحاحاً، حيث تشيع العولمة أخلاقيات الصفقة، التي تقوم على إبراز المحاسن وإخفاء العيوب، وتشجيع التسويات والحلول الوسط والتنازلات، إلى جانب المبالغة والاحتيال، والسعي خلف تحصيل المنافع من أي وجه كاذب.

وهذه كلها حين تتم، تتم غالباً على حساب دين المرء ومبادئه وكرامته.

الأمر الثالث: السنن والآداب الشرعية

من المتوقع في عصرنا الحاضر "عصر العولمة" أن يلقى الكثير من السنن والآداب الشرعية الإهمالَ؛ لسبب جوهري، هو أن العولمة تنشر رموزاً ومفاهيم، تشجع على الفردية والاختيار الحر، وتهمش الحرفية والانضباط.

على عكس النمط الذي يشيعه التمسك بالسنة والآدابِ الشرعية، حيث ينضبط سلوك المرء وحركاته بالهدي النبوي والمنهج الرباني الأقوم.

لا يخفى أن التمسك بالسنة يُنمّي لدى المسلم الإرادة والتمنع على الأهواء والشهوات والمغرِيات، كما أنه إلى جانب ذلك يضفي على السلوك الاجتماعي طابع التوحد والانسجام، وهذا مهم جداً لتوحيد المشاعر والمفاهيم.

وانطلاقاً من هذا كان لزاماً على الأم المسلمة أن تلقن طفلها ما يمكن تلقينه من السنن والآداب الشرعية، المتعلقة بالسلوك الفردي، وهي كثيرة، ومنها ما هو قولي، ومنها ما هو سلوكي عملي.

السنن القولية

فمن الآداب والسنن القولية:

- حمد الله تعالى، إذا عطس.
- وإذا سمع الصبي عاطساً، قال له: يرحمك الله.
- تسمية الله تعالى في أول الطعام، وحمده عند نهايته.
- أدعية الدخول إلى المسجد، والخروج منه.
- أدعية الدخول إلى البيت، والخروج منه.

- وإذا رأى الصبي شيئاً أثار عجبه قال: ما شاء الله، عوضاً عن التصفير والصياح والتصفيق، الذي يمارسه بعض الفتيان اليوم.
- وعند الاستيقاظ من النوم يقول: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور.
- أدعية الصباح والمساء.

إلى ما هنالك، من أدعية وأذكار وردت في النصوص والأخبار الصحيحة.. وسيكون من الجميل أن تضم مكتبة المنزل بعض الكتيبات، التي ترشد إلى ذلك.

السنن العملية

ومن الآداب والسنن العملية، التي ينبغي على الأم تعليمها لطفلها:

- أن يبدأ باليمين عند لبس ثوبه ونعله..وعند دخول المسجد..وتقليم أظافره..والخروج من الخلاء..والأخذ والإعطاء.
- ويُعوَّد تقديم اليسار في ضد هذه الأمور..
- ويُعوَّد الطفل إماطة الأذى عن الطريق، فإذا لم يفعل فلا أقلَّ من أن يمتنع من إلقاء الأذى في الطرقات والساحات العامة؛ إذ إن

كثيراً من الأطفال اليوم يلقون بالعلب الفارغة وبعض الفضلات، دون أدنى مبالاة.!

ويُعوَّد أيضاً:

- الأكلَ باليمين، والأكل مما يليه، وعدم النظر في وجوه الأكلة على المائدة، وإذا سكب شيئاً في طبقه الخاص يسكب على مقدار حاجته.
- كيف يأكل كل ما في صحنه، ولا يترك منه شيئاً.
- المحافظةَ على الممتلكات والموارد، فلا يَترك الأنوار مضاءة بعد خروجهم من الغرفة، كما يعوَّد على إقفال صنابير المياه بإحكام، فلا يسرفوا في استخدام المياه مهما كانت رخيصة ومتوفرة...إلى ما هنالك من سنن وآداب.

الأمر الرابع: اللمسة الجمالية

من مهمات الأم الارتقاء بمشاعر التمدن والتحضر لدى الطفل، من خلال تنمية أحاسيس الجمال والأناقة لديه، وهي أحاسيس تتكون لدى الطفل منذ الشهور الأولى من ولادته، من خلال الابتسامة، والنظرة، والهمسة، واللمسة..

الجمال هو الحيوية التي في إمكانها التغلغل في كل الأشياء، وإن أشد الأمور قسوة ومرارة يظل قابلاً لإضفاء المِسحة الجمالية عليه، كما

قال ﷻ: ﴿ فاصْبِرْ صبراً جميلاً ﴾ [المعارج: 5]

فالصبر شاق على النفوس، ومع هذا ينبغي أن يكون جميلاً، وإنما يكون كذلك إذا لم تصحبه شكوى لغير الله ﷻ.

وقد رأى عمر بن الخطاب ﷺ رجلاً يسحب شاة برجلها ليذبحها، فقال له: ويلك..قُدْها إلى الموت قوداً جميلاً [1].

المدَنية التي جاء بها الإسلام رُوح تسري في كِيان الفرد المسلم، فتعطيه طابعاً خاصاً، يلمسه الناس في كل شؤونه: في طريقة كلامه، وعباراته المنتقاة، وفي أسلوب استماعه، وأسلوب تناوله لفرصة التحدث، وفي كيفية قيادته لسيارته، وطريقة حصوله على حقه، وطريقة تنبيهه للمخطئ، وحله لمشكلاته.

اللمسة الجمالية تجعل تصرفات الإنسان أكثرَ نعومة وأناقة، حيث يرتقي إحساسه بالآخرين.

تستطيع الأم تكوين اللمسة الجمالية لدى الطفل، من خلال تنظيم البيئة التي يعيش فيها الطفل: فالبيت الفوضوي المضطرب وغير النظيف، لا يساعد على الإحساس بالجمال، وتستطيع الأم فعل ذلك

(1) مصنف عبد الرزاق، كتاب: المناسك، باب: سنة الذبح. رقم: 8605

من خـلال: تعليمـه لـبس الثيـاب ذات الألـوان المتناسـقة، وتنظيـفِ أسنانه.. وتعويده ترتيب غرفته وتجميلَها.. وحثه على أن تكون دفـاتره وكتبه نظيفة ومنظمة.

التمدن في لغة الخطاب

ويأتي في قمة الوسائل المعينة على تكـوين الحـس الجـمالي في نفـس الطفل وسلوكه: لغة الخطـاب الـسائدة في المنـزل.. حيـث تقـول الأم لطفلها: مـن الأحـسن، والأجمـل، والألطـف، والأبهـى، والأروع أن تفعل كذا، وتترك كذا..

والحقيقة أن طريقة تعبير أهل البيت عما يريدونه، تعكس على نحو تام مشاعرهم وطرق تفكيرهم والمستوى التمدني الذي بلغوه.

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال:

« لا يقل أحدُكم: عبدي أَمَتي، وليقلْ: فتاي، وفتاتي، وغلامي [1].»

« لا يقولن أحدُكم: خَبُثَتْ نفسي، ولكن ليقل: لَقِسَتْ نفسي [2].»

ومعنى (خبثت) هو معنى (لقست) ولكن كره النبي ﷺ بشاعة اللفظ.

---

(1) البخاري، كتاب: العتق، باب: كراهية التطاول على الرقيق. رقم: 2414

(2) البخاري، كتاب: الأدب، بـاب: لا يقـل خبثـت نفـسي. رقـم: 5825 ؛ مـسلم، كتـاب: الألفـاظ مـن الأدب..باب: كراهية قول الإنسان..رقم: 2250

الأم العارفة..والأم الجاهلة

الأم الصالحة العارفة بوظيفتها تستخدم دائماً التعبيرات الرشيقة، التي تبعث في نفس طفلها مشاعر الخير والرفق والسمو والنعومة.

أما الأم الجاهلة بوظيفتها، والأم التي لم تتلقَّ ما يؤهلها لأن تكون مربية..هذه الأم تستخدم لغة أخرى تُشيع في نفس الطفل معاني الإحباط والدناءة والانتقام..

وهذه بعض الأمثلة التي توضح الفرق بين اللغتين وبين الأُمين:

- إذا غضبت الأم الصالحة قالت لأولادها: هداكم الله..أصلحكم الله.. **أما الأم الأخرى**، فتدعو عليهم وتقول: الله يبتليكم بالمصائب.!!

- لأم الصالحة المؤمنة المربية حقاً تقول: المسلم المؤدب يفعل كذا وكذا؛ حتى يدخل الجنة. **أما الأم الأخرى**، فإنها تهدد وتتوعد، وتقول: الذي يريد أن يُضرب يفعل كذا وكذا.!

- إذا أخذ الطفل ما ليس له، قالت له الأم الصالحة: هذا ليس لك، هذا ليس من حقك..رُدَّه لصاحبه. **أما الأم الأخرى** فتقول: يا لص..يا حرامي..يا سرَّاق..!

- إذا سقط الطفل على الأرض، وجاء إلى أمه باكياً، فإن الأم

الصالحة تقول له: قدَّر الله وما شاء فعل..في المرة القادمـة كـنْ أكثـر حذراً. **أما الأم الأخرى** فتقول: أَحْـسَنْ وتـستحق ذلـك..وفي المـرة القادمة تنكسر رجلك..!

لا يمكن لمربية صالحة أن تسمح لنفسها بتحقير طفلها وإهانته من خلال تعييرها ببعض عيوبه أو نقائصه، أو تشبيهه بالمخلوقات الأدنى: كالكلب والحمار، أو تقولَ له: يا أبله..يا غبي.. أو **تقول له**: لا يشرفني أنك ابني، أو إنك لا تصلح لأي شيء؛ فالطفل يـصدق مـا نقولـه لـه، ومن خلاله يشكل صورته عن نفسه.

الحُسن..والقبح

المربية الفاضلة الواعية لمهمتهـا الفاقهـة بـدينها، تُعلـم أطفالهـا أن أفعال الخير تشكل قمة الجمال، فالشعور بالأناقة والرفاهية الروحيـة لا يأتي إلا من خلال الزيادة على ما هو واجب في العمل والأداء.

فالذي يُلقي السلام، والذي يصلي النافلة، والذي يتصدق بما فوق الزكاة، والذي يبذل العون لأخيه المسلم..كل هـؤلاء يتمتعـون بـشيء من جمال الباطن، وراحة السرائر وبهجة الأرواح.

وهي إلى جانب ذلك تعلم أطفالها أن كل شكلٍ من أشكال المعصية، وكل لون من ألوان التقصير في القيام بأمر الله تعالى موصول بشكل من أشكال القبح.

فالظلم والفساد والكسل في أداء الواجبات، وأنواع الموبقات..هي أشبه بأوساخ تلطخ ثوباً أبيض ناصع البيان.

الأمر الخامس: روح التضحية والعطاء

إذا أراد الناس أن يتعاملوا كما يتعامل التجار، كل شيء بحساب، وكل شيء له مقابل..فسدت الحياة الاجتماعية، وضاقت الأرض بما رحبت؛ إذ إنه مهما كثر المال والخير، فإن المطلوب سيظل أكثر.

ولذا فالشعور بالقلة والندرة سيظل ملازماً لكثير من الناس، ولن يكون أي حل لذلك كافياً إذا لم يشِعْ بين المسلمين خُلق الإحسان والمعروف والبذل والتضحية والعطاء غير المشروط.

ولهذا فإن الله تعالى وعد على أعمال البِر بأعظم الأجر والثواب، على نحو ما نعرفه من الثواب على إطعام الجائع، والسعي على الأرملة، والمسكين، واليتيم، وإغاثة الملهوف، وقضاء حوائج المحتاجين، والصبر على المعسرين..

وبذلُ الروح في سبيل الله ﷻ هو غاية البذل وقمة التضحية، حيث يرفع الشهيد شعاراً مضمونه:

لا قيمة لحياتي؛ إذا تَعرَّضتْ حياة أمتي للخطر، وانتُهكت حرماتُها.

الأم المسلمة تستطيع أن تبذر بذور التضحية في نفوس أبنائها:

من خلال سلوكها أولاً، حين تُؤْثر مَن حولها على نفسها.

ومن خلال حثِّها لطفلها على إعطاء إخوته وزملائه شيئاً من قطعة الحلوى التي لديه، أو شيئاً من المال الذي بحوزته.

ومن خلال حثها له ليتيح لأبناء الضيوف أن يلعبوا بشيء من لعبه.

وحين تُتاح فرصة للخدمة العامة، فالأم الصالحة تحث أولادها على المشاركة والمساعدة؛ حتى تزدهر البيئة وتغتني الحياة بالخير والرخاء.

أمة الإسلام أمة الرايات، أمة الشهداء، وقد ظلت على مدار التاريخ تعُجُّ بالأمهات اللواتي يعرفن قيمة التضحية ويربين أطفالهن عليها.. وما زال فينا إلى اليوم بحمد الله الكثيرات من ذلك الطراز الرفيع، وإن كان الستار مسدلاً على السواد الأعظم منهن، لكن لا يضيع عند الله ﷻ شيء.

نماذج من سير بعض الصحابيات

وسوف أكتفي بذكر نموذجين من سير بعض الصحابيات المباركات:

النموذج الأول:

« عن الشعبي أن امرأة دفعت إلى ابنها يوم غزوة أحد السيف، فلم يطق حمله -لصغره- فشدته على ساعده بِنِسعة (أي برباط) ثم أتت به النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله.. هذا ابني يقاتل عنك؛ أي: يدافع عنك. فقال: النبي ﷺ أيْ بُني.. احملْ ها هنا، أي بني.. احمل ههنا، فأصابت الغلام جراحة. فقال النبي ﷺ: أيْ بني..لعلك جَزِعتَ؛ أي: لعلك لا تصبر على ما أصابك.. قال: لا يا رسول الله[1]. »

إن سلامة رسول الله ﷺ في نظر المرأة أهمُّ من سلامة ابنها الفتى؛ ولهذا بعثتْ به ليعرِّض نفسه للخطر دونه.

بمثل هذه النماذج بُنيتْ أمجاد أمة الإسلام.

النموذج الثاني:

وهذه هي الخنساء الشاعرة الجليلة المشهورة، تخرج مع عساكر المسلمين يوم القادسية، ومعها أبناؤها الأربعة.

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب: المغازي، باب: 26 رقم: [redacted]

وقبل بدء القتال أوصتهم فقالت:

« يا بَنيَّ إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين... فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها.. فَتَيمموا وطيسها [1].. تظفَروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة.

فلما أصبح أولادها الأربعة، باشروا القتال واحداً بعد واحد حتى قُتلوا جميعاً، وبلغها نبأ مقتلهم جميعاً، فقالت قولتها المشهورة:

الحمد لله، الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته [2].

هكذا تكون الأم المسلمة، في دفع أولادها نحو ساحات الفداء، وهكذا يكون الصبر إذا نزل البلاء.

---

(1) أي خوضوا غمارها، وزجوا أنفسكم فيها..

(2) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، رقم: [redacted]

الأمر السادس: تكوين الإنسان الناجح

المتميزون جداً بين الناس لا يُشكلون أكثر من خمسة بالمئة، **أما** المتميزون جداً جداً فلا يشكلون أكثر من خمسة بالألف، والباقي من عباد الله عاديون.

ولو أن المواهب والقدرات الفطرية التي زودنا البارئ ﷻ بها.. لو أنها نُمِّيتْ بشكل جيد، فإنّ نسبة الممتازين يمكن أن تتضاعف مرات كثيرة.

البيئة المحطمة، والأسر الجاهلة تقتل الكثيرَ من إمكانات الطفل، وتحوله من إنسان سوي إلى إنسان شبه معوق ذهنياً ونفسياً.

من خلال سلسلة من المفاهيم التي تدخل في تكوين ثقافة الطفل، يمكنه أن يحقق الكثير من النجاح في حياته.

ومن خلال مجموعة أخرى من المقولات، يمكن أن يقع الطفل في كثير من الإخفاق والإحباط.

فما المفاهيم التي تساعد الطفل على النجاح يا تُرى.؟

أعتقد أن هناك الكثير مما يمكن قولُه في هذا الشأن، ولكن سأقتصر على ثلاثة مفاهيم، أرى أن على الأم القيامَ بتركيزها في شخصية ولدها:

المفهوم الأول: تعزيز ثقة الطفل بنفسه

تعزيز ثقة الطفل بنفسه، وتوسيعُ مدى طموحاته، حيث تقص عليه حكاياتٍ من سير الرجال العظام، أهل الصلاح والنجاح، والذين يمكن أن يقتدي بهم، ويقتبس من أخلاقهم وسلوكاتهم.

وهذه النقطة قد تكون أهمَّ النقاط، حيث إن أسوأ ما يفعله البيت الجاهل المتخلف هو:

قتل الطموحات لدى الطفل.

وحرمانه من الاهتمام بمعالي الأمور.

لنساعد الطفل على أن يحلم بتحقيق أنبل الغايات والأهداف وأعلى المراتب، ولنُوَسِّع في مدى تطلعاته، وسنجد أنه يستجيب على نحو أفضل مما نظن.

ويذكرون في هذا الشأن أن هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان رضي الله عنها وعنه، كانت تمشي ذات يوم، ومعها ولدها معاوية، والذي أصبح فيما بعد واحداً من أشهر حكام المسلمين، فرأى بعضهم معاوية، وقد بدت عليه مخايل النجابة، فتوسموا فيه النبوغ، وقالوا:

إنْ عاشَ ابنُك ساد قومه.. وقد كانت هند امرأة شريفة عظيمة الطموح، فلم يعجبها ذلك المديح، فقالت في إباء وتطلع واسع:

قومَه فقط.. ثكِلْتُـه (أي فقدتُه) إن لم يسدْ العرب قاطبة [1].

وقد كان ما تشوفت إليه، حيث حكم ابنها العـرب والعجـم مـدة طويلة من الزمان.

المفهوم الثاني: التعرف على ميول الطفل الحقيقية

التعـرف عـلى ميـول الطفـل الحقيقيـة، والوقـوفُ عـلى قدراتـه ومهاراته، مـن خـلال درجاتـه التـي ينالهـا في المدرسـة، ومـن خـلال اهتماماته.. ويجب أن نقول هنا: إنه ما مِن **واحـد فينـا إلا لديـه جانـب إبداعي، إذا رُعي حقَّ الرعاية أتى منه ما يفوق كل توقع.**

الأم حين تفعل ذلك فإنها توقف اندفاع الصبي نحو ما لا يناسـبه، أو العملِ فيما لا يعود عليه بالنفع والخير.

وتوجيه الطفل نحو ما يجب أن يتقنه ويتعلمه قد يكلف المال الذي لا يتوافر لدى الأسرة بسهولة، ولا بد آنذاك مـن التـضحية والتحمـل وتدبر الأمر في سبيل أن يتعلم الولد ما يجب أن يتعلمه ويتدربَ عليه.

وعن وكيع قال: قالت أم سفيان الثوري لسفيان: **اذهـب فاطلـب**

---

(1) البداية والنهاية، ابن كثير: 126/8 سنة: 60 من الهجرة النبوية ؛ الإصابة: ابن حجر 153/6

العلم حتى أعولك بمغزلي[1]. فكانت رحمها الله تعمل في الغزل، وتقدم له ما يتطلبه تفرُّغه للعلم، وكانت تحث ولدَها على الاستفادة مما يتعلم وتطبيقِه في حياته. وقالت له يوماً: **إذا كتبتَ عدة عشرة أحاديث فانظر: هل تجد في نفسك زيادة** (في خشية وحلم ووقار) **فاتبعه، وإلا فلا تتعنَّ**. أي: فاعلم أن ما كتبته يضرك ولا ينفعك..[2]

الله أكبر.. **هذه** -والله- هي الأم المسلمة، هي المرأة المسلمة العظيمة.. **هذه** هي المربية الفاضلة.

المفهوم الثالث:

تنمية روح الإصرار على الاستمرار في بذل الجهد

لا بد للأم أن تنمي لدى ولدها روح الإصرار والدأب والقدرة على الاستمرار في بذل الجهد.

وهذه السمة تعادل في كثير من الأحيان الذكاءَ الخارق المتوهج، الذي يتمتع به بعض الموهوبين، بل إن ذوي العزيمة، ولو كانوا من متوسطي الذكاء يحققون من النجاح أكثر بكثير مما يحققه الأشخاص المتفوقون ذهنياً المتصفون بالكسل والفوضى.

---

(1) سير أعلام النبلاء: الذهبي 269/7

(2) المرجع السابق.

وهذا يتطلب من الأم أن تعلم أولادها: **كيف** يستفيدون من الفرص الصغيرة.. **كيف** يركمون النتائج المحدودة التي يحصلون عليها.. **كيف** يبرمجون أوقاتهم.. **كيف** يبلورون أهدافهم، ويستخدمون إمكاناتهم على النحو الصحيح.. وهنا دعونا نقول بصراحة:

هذا كله يتطلب من الأم أن تثقف نفسها، إذا ما أرادت أن تنجح فعلاً في أداء مهمتها، وأن تنفذ ما نشير به عليها.

المفهوم الرابع:

تزكية الجانب الاجتماعي في شخصية الطفل

من خلال قراءة واعية لأحكام الشريعة الغراء، استطاع علماؤنا في القرن الثالث الهجري بلورة ما سمّوه بالبدهيات أو بالكليات الخمس، وهي: حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ النسل، حفظ المال.

هذه الكليات يمكن أن ننظر إليها نظرة جديدة، فنتخذ منها مرتكزاتٍ ومحاور للتربية الاجتماعية.

فهي تشكل بحق المنطلق العام لأمة الإسلام: **في** علاقاتها الاجتماعية.. **وفي** بناء الوعي الاجتماعي.. **وفي** بناء الإطار المرجعي للضبط الاجتماعي أيضاً.. فالمسلم مطالب:

بأن يدافع عن دينه، وأن يحافظ على تدينه والتزامه الخاص.

بأن يحافظ على تدين إخوانه المسلمين، وأن يساعدهم في ذلك، فلا يعرِّضُهم للفتن، ويرشد الضال منهم، ويأخذُ على يد العاصي والمنحرف.

بأن يحافظ على نفسه وصحته وعقله، فلا يتناول من الطعام أو الشراب، ولا يمارس من الأعمال ما يؤذيها.

بأن يحافظ على حياة إخوانه المسلمين، من خلال النصيحة، ومن خلال الامتناع عن إيذائهم، ومن هنا حَرُم الاتجار بالخمور والمخدِّرات ولحوم الميتة، وكل ما يضر بالناس.

وهكذا يؤمر المسلم بالمحافظة على عِرضه وعلى أعراض المسلمين، ويؤمر بالمحافظة على ماله وعلى أموال المسلمين.

إن دماء المسلمين وأعراضَهم وأموالهم محرمة، ولا يكمل إيمان المسلم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويبغضَ له ما يبغضه لنفسه، كما وردت بذلك الأخبار الصحاح.. وقد كان خيار هذه الأمة وما زالوا حريصين على هذه المعاني أن تظل حية في النفوس، مجسدة في السلوك.

وقد ذكروا عن محمد بن واسع رحمه الله أنه نزل إلى السوق؛ ليبيع دابة له، فقال له رجل مستنصحاً: أترضاها لي.؟

فقال محمد: لو رضيتُها لنفسي لم أبعْها.. [1]

فأَفهَمَ الرجلَ أنه لا يرضاها له..

أين هذا من موقف كثير ممن يشتغلون بالبيع والشراء اليوم..!؟

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: إني لآتي على الآية في كتاب الله، فلوددتُ أن جميع الناس يعلمون ما أعلم [2].

وكان أحد الصالحين يقول لبعض إخوانه المطلعين على شؤونه: أَخرِج لي شربة من ماء وتمرات أُفطر عليها؛ فيكون لك مثل أجري. [3]

ويذكرون أن فقيهاً، كان يمشي في الطريق وعلى رأسه قبعة، فجاء أحد اللصوص وخطف القبعة، ومضى هارباً.! وفكر الفقيه في أن هذا الرجل قد صار في نظر نفسه، وفي نظر الآخرين لصاً؛ من أجل شيء تافه، فماذا يفعل..؟ ما كان منه إلا أن صار يجري خلف اللص، ويقول له: وهبتُكَ القبعة..قُلْ قبلتُ. وهبتُك..قل قبلت.!! واللص هارب أطلق ساقيه للريح، لا يلوي على شيء..

---

(1) التاريخ الكبير: البخاري، رقم: [redacted]

(2) قال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح. (مجمع الزوائد، كتاب: المناقب باب: جامع فيما جاء في علمه.. رقم: 15528)

(3) حلية الأولياء: أبو نعيم الأصبهاني. 235/6

هكذا يكون الحرص على سلامة المسلمين، وعلى استقامتهم، وعلى مصالحهم، وعلى مشاعرهم..

حاولي أختي الفاضلة أن تُفهمي طفلـك أن النـاس متـشابهون في أمور كثيرة إلى حد بعيد، لذلك فإن مـا يـسُرُّه يـسر الآخـرين، وإن مـا يسوؤه يسوء الآخرين، وما يزعجُه يُزعج غيره.

وإن مما يؤكد كل المعاني الجميلة التي أوردناها، أن مما يُسنُّ للواحد منا إذا غادر منـزله أن يقول: « اللَّهُمَّ.. إِنَّـا نَعُـوذُ بِـكَ مِـنْ أَنْ نَـزِلَّ أَوْ نَضِلَّ، أَوْ نَظْلِمَ أَوْ نُظْلَمَ، أَوْ نَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيْنَا.. [1] »

إن الخروج من البيت فيه اختلاط بالنـاس، وإن الاخـتلاط مظِنـة البغي والعدوان؛ لذلك فإن المسلم حين يخرج من بيتـه يـدعو لنفـسه، ويدعو لإخوانه المسلمين أيضاً.

---

(1) الترمذي، كتاب: الدعوات عن رسول الله.. رقم: 3427 قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

آداب الحياة السعيدة

وأود هنا أن أشير إلى عدد من المفاهيم والآداب، التي تحكم الحياة الاجتماعية، وتجعلها بهيجة، سعيدة، رخية، وذلك من خلال النقاط التالية:

الأولى:

إن اجتماع الناس بعضِهم مع بعض، يولد بطبيعته التوترات والمعاكسات والمشاكسات، وإن مَعقِد البلاء في الحياة الاجتماعية يتمحور حول عدم تطابق طبائع البشر، وعدمِ تطابق مصالح الأفراد مع مصالح جماعاتهم ومجتمعاتهم.

والمطلوب منا أن نُعوّد أنفسنا ونربي أبناءنا على تفهم ما يثير النزاع بين الناس، ثم التعاملِ معه بالحكمة المطلوبة.

ولا ينبغي أن نظن أن الطفل لا يستوعب مثل هذه المعاني، فهناك دراسات عديدة تؤكد أن ابن العاشرة يستوعب معظم المسائل الاجتماعية، إذا شُرحت له بأسلوب مبسط.

إن مما يثير النزاع بين الناس:

(1) التنافسَ على فرصٍ وموارد محدودة. (2) والحساسية المفرطة نحو النقد. (3) ووجودَ طبائع رديئة لدى بعضهم، مثلِ: العناد، وسرعة الغضب. (4) وسوء الفهم، وسوء التفسير، لما يقال ويحدث...

ويمكن للأم أن تنقل هذه المعاني، وهذه المفاهيم لطفلها عن طريق استغلال المشاجرات والمنازعات، التي تجري بينه وبين إخوته وأقربائه وأبناء الجيران، ومن خلال شرح المواقف الخاطئة للأطفال في تلك الخصومات.

الثانية:

على الأم أن تُعلم طفلها احترام خصوصيات الآخرين، فلا يدخل على أحد في مكان خاص دون استئذان، ولا يتجسس على مكالمة هاتفية، ولا يفتح شيئاً مغلقاً ليس له، سواء أكان باب بيت، أو باب ثلاجة، أو كتاباً، أو دفتراً، أو صندوقاً..مهما طالت مدة إقامته في المكان، إلا إذا أُذن له بذلك..

ومن أهم ما يوصى الصغير بحفظه:

- ما يؤتمن عليه من أسرار.
- وما يدور في المجالس الخاصة، من أحاديث لا يرغب أصحابها في تناقلها.

قال أنس ﷺ: أتى عليَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، فسلم علينا، فبعثني إلى حاجة، فأبطأت على أمي. (أي تأخرتُ عنها)

فلما جئتُ قالت: ما حبَسَك.؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة.

قالت: ما حاجته.؟ قلتُ: إنها سرّ.

قالت: لا تحدثن بِسِر رسول الله ﷺ أحدا [1].

أُنظري إلى موقف أم أنس رضي الله عنها وقارنيه بموقف بعض الأمهات، حيث تلح على طفلها بأن يخبرها بكل شيء يراه أو يسمعه، مهما كان الحديث مؤذياً للآخرين..

الثالثة:

شيءٌ من الخير موجود لدى كل إنسان، وليس هناك شخص هو مجموعة من الشرور، وهذه الفكرة ضرورية لتفسير أخطاء الآخرين.

فليس كل خطأ يقع فيه الإنسان صادراً عن سوء نية، كما أن بذرة الخير الموجودة لدى كل مسلم تجعل التواصل والتفاهم معه ممكناً في كل الأحوال.

الرابعة:

قد لا يستطيع المرء أن يقدم سوى أشياء صغيرة لإخوانه وأحبابه وزملائه، لكن يستطيع أن يقدمها مصحوبة بالعاطفة والحب، والعبارات اللطيفة والجميلة [2].

---

(1) مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أنس..رقم: 2482

(2) إن الكلمة بمحتواها، لا تأخذ أكثر من 7 % من الأهمية، من حيث لغة التواصل بين الناس..

وكم هو جميل أن نُعود أنفسنا وأطفالنا أن نقدم الهدية والخدمة والمعونة مشفوعة بالاعتذار المخلص والصادق عن التقصير، ومصحوبةً برجاء قَبولها.. إن هذا كثيراً ما يكون أهمَّ من الهدية نفسها.

الخامسة:

كلٌّ منا يغضب وينفعل، وخاصة الأطفال؛ نظراً لضعف استيعابهم مما يجري، وعلى الأم أن تُعلّم الطفل وتعوّده الطريقة الصحيحة في التعبير عن الغضب، من خلال عبارات واضحة ومهذبة.. كأنْ يُعوَّد الطفل أن يقول: أنا مستاء من كلام فلان، وأنا منزعج من التصرف الفلاني.

بعض الأطفال تعوَّد إذا غضب:

أن يكسر بعض التحف.! **أن** يضرب أو يعَض من أغضبه.! **أن** يضرب رأسه بالأرض.! **أن** يخرج إلى الشارع..! **أن** يسب و يشتم..!

هذا كله يحدث في الغالب من قلة الاهتمام بتوجيهه.

و **38 %** له علاقة بالصوت.. و **55 %** لتعابير الوجه، وحركة الأيدي، ولغة الجسد؛ لأن لغة الجسد لا تكذب.. **7 %**... معنى هذا أننا بحاجة إلى كثير من إعادة النظر في الطريقة التي نتخاطب بها. (أثر الكلمة في التواصل بين الناس، د. ميسرة طاهر، قناة الجزيرة، برنامج الشريعة والحياة:**2003/8/31)**

السادسة:

حاولي أيتها الأم الفاضلة أن تُفهمي أولادك أن كثيراً مما يتداوله الناس بينهم من أقوال وأخبار، إما غير صحيح، وإما غير دقيق.

حيث إن المبالغة والتزيُّد والتحريف وعدم الثقة..أمور عمَّت بها البلوى بين الناس اليوم.. ولا ينبغي للصغير أن يروي كل ما يسمع، ولا أن ينفعل به، وقد أمرنا الله ﷻ بالتثبت والتبين حين قال:

﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا** - وفي قراءة صحيحة: فتثبتوا[1]- **أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**. ﴾ [الحجرات: 6] إن الأطفال كثيراً ما يسببون مشكلات للكبار؛ بسبب عدم دقتهم في النقل، أو بسبب تصديقهم لكل ما يُقال.

السابعة:

عوِّدِ الطفل استقبالَ الضيوف، وتوديعَهم عند الباب، وملاحظة حاجاتهم.. وشيءٌ جميل:

---

(1) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف. قال الشاطبي في حِرزه:

وَإِشْمَامُ صَادٍ سَاكِنٍ قَبْلَ دَالِهِ ... كَأَصْدَقُ زَايًا شَاعَ وَارْتَاحَ أَشْمُلاَ

وَفِيهَا وَتَحْتَ الْفَتْحِ قُلْ فَتَثَبَّتُوا ... مِنَ الثَّبْتِ وَالْغَيْرُ الْبَيَانِ تَبَدَّلاَ

أن يقوم الطفل بعرض الماء على الضيف. **أو** أن يأتيه بوسادة. **أو** يحضر له منديلاً؛ إذا رآه عطس.. إنها آداب رفيعة، تضفي على لقاء الناس بعضِهم ببعض ابتهاجاً وبهاء خاصاً.

في عصرنا الحاضر استعر التنافس في كل شيء، وعلى كل شيء، إلى حد حَبْك المؤامرات والدسائس؛ في سبيل الظفر والتفوق على الأقران والزملاء..! الأم بحاجة إلى أن تزرع في عقل طفلها ووجدانه:

أن الساحة رحبة جداً، أكثرَ مما يتصور.

وأن في فضل الله ﷻ ما يسع الجميع.

وعلينا أن نعلم ونُعلّم أبناءنا أنّ تعاونهم مع زملائهم وأقربائهم، أعودُ عليهم بالنفع والخير، من التنافس معهم.

إذا كان تقدير ابنك جيداً، في حالة التنافس، وتقدير زميله جيداً جداً، فإن تقدير ابنِك في حالة التعاون مع زميله يصبح جيداً جداً، ويصبح تقديرُ زميله ممتازاً.

إن عصرنا هو عصر الكبار، وأفضل طريق لأن يصبح الإنسان كبيراً هو أن يتشبّع بروح التعاون والتحالف والتآزر، ويمد جسور التواصل مع أبناء التخصص الواحد والمهنة الواحدة.

الثامنة:

هناك جملة من الآداب الاجتماعية، التي علينا أن نلقنها الطفل، ونعوده الالتزام بها منذ الصغر، والإسلام يحث المسلمين دائماً على الاجتماع والالتقاء ونبذ الفرقة وعدم الاستغراق في الشأن الخاص، بعيداً عن العناية بالشأن العام، وحتى يَرغب الناس في الاجتماع، فإنه ينبغي أن يكون مريحاً مبهجاً جميلاً، خالياً من المنفِّرات والمزعجات.

آداب تنشئة الطفل

ولذا فإن الصغار والكبار مطالبون بالالتزام بسلوكات اجتماعية معينة، وهي في الحقيقة كثيرة، نعرض بإيجاز أهمها:

أولاً:

يُعوَّد الطفل عدم رفع الصوت، أثناء حديثه مع أحد أفراد أسرته، ومع الناس الغرباء، لا فرق في ذلك؛ فالصياح مؤذٍ للسمع، معكر لصفاء المجالس، فما أجمل ما نصح به لقمان ابنه، حين قال: ﴿ **وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ﴾ [لقمان: 19]

حين تلاحظ الأم أن طفلها يرفع صوته أكثرَ من حاجة السامع، تُنبهه إلى ذلك المرة تلو المرة، إلى أن يصبح ذلك طبعاً..

وتنبهه كذلك إلى عدم رفع صوته أثناء الضحك، فقد كان التبسم وما زال أجمل أنواع التعبير عن السرور.

ثانياً:

يُعلَّم الطفل كيفية تناوله الحديث، فلا يقاطع المتحدث حتى يفرغَ من كلامه، وحين يكون في المجلس بعض الكبار، فإنه يُعلم أن لا يتحدث حتى يستأذن، وإذا تكلم تكلم باختصار.

ولا يعني هذا وضع الكثير من القيود، التي قد تؤدي إلى حمل الطفل على الانكماش والسكوت، فتطبيع الطفل على الجرأة والشجاعة الأدبية أمر مهم وحيوي..ولكن لكل شيء أصول.

ثالثاً:

على الأم أن تحث طفلها وتعوده على البشاشة، وطلاقة الوجه والاستبشار؛ فهذا مما يعبر عن الرضى والسكينة والصفاء، ومما يدخل السرور والارتياح على نفوس من نلقاهم.. ولذا فلم يكن غريباً أن يكون التبسم نوعاً من أنواع القربة إلى الله ﷻ كما ورد في الحديث:

« تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ [1].»

« لا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيئاً، وَلَو أنْ تَلْقَى أَخاكَ بِوَجهٍ طَلْقٍ[2].»

رابعاً:

ومن جملة الآداب التي يعود عليها الطفل، وضع اليد على الفم عند التثاؤب، وكذلك عند العطاس، وأن يُخفِض صوت تثاؤبه وعطاسه ما استطاع.. وقد ورد أن النبي ﷺ كان إذا عطس، غطى وجهه بيده أو بثوبه وغض بها صوته [3].»

وقال رسول الله ﷺ:

« التثاؤب من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع؛ فإن أحدكم إذا قال: (ها) ضَحِك الشيطان [4].»

« إذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه[5].»

وبعض الناس اليوم يصيح إذا تثاءب، وقد يكون في المسجد أو في مجلس، فيُزعج كل مَن فيه.!!

---

(1) الترمذي، كتاب: البر والصلة..باب: ما جاء في صنائع المعروف. رقم 1956 قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

(2) مسلم، كتاب: البر والصلة..باب: استحباب طلاقة الوجه.رقم: 2626

(3) الترمذي، كتاب: الأدب..باب: ما جاء في خفض الصوت..رقم: 2745 قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

(4) البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس..رقم: 3115

(5) الترمذي، كتاب: الأدب.. باب: ما جاء إن الله يحب.. رقم: 2746 قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح

خامساً:

ويعلم الطفل كذلك ألا يفرقع أصابعه أمام الناس، ولا يمد رجليه في مجلس عام، وعندما يلتقي مع الكبار في الدخول إلى مكان أو في الخروج، فإنه يتأخر؛ ليُفسح الطريق لمن هو أكبر منه سناً.

فمسألة احترام الكبير لدى المسلمين، وسيلة من وسائل إشاعة البر والخير في الأمة، كما أنها وسيلة لتنظيم التراتب الاجتماعي.

سادساً:

مسألة النظافة في غاية الأهمية، فإذا كانت النظافة الشخصية مطلوبةً في كل حين، فإنها عند اجتماع الناس تكون أكثر تأكيداً؛ ولذا شَرع الإسلام الاغتسال لصلاة العيد وصلاة الجمعة؛ حتى لا يتأذى الناس بروائح بعضهم. وقال رسول الله ﷺ: « من أكل ثوماً أو بصلاً، فليعتزِلْ مسجدنا، وليقعد في بيته[1].» فنظافة البدن والثياب والمكان الذي يجتمع فيه الناس، ومسُّ بعض الطيب..كل هذا مما رغب فيه الإسلام؛ وذلك تشجيعاً للمسلمين على الاجتماع.

---

(1) البخاري، كتاب: الأذان، باب: ما جاء في الثوم..رقم: 817

سابعاً:

يُعلم الطفل إلى جانب هذا أن لا يمارس تنظيف بدنه أمام الناس، فلا يزيل ما تراكم في أذنه أو أنفه، ولا يقلم أظافره أمامهم؛ فهذا مما تتقزز منه النفس.

وتنبيه الطفل إلى هذه الآداب مسؤولية الأم، وقد يعسر أن نجد بديلاً عنها، إذا هي تخلت أو تقاعست في أدائها.

لا أحب أن أستطرد أكثر فأكثر في ذكر الأمور التي على الأم تلقينُها لأطفالها؛ فالمساحة المتاحة لا تسمح بأكثر مما قلناه، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.

الأساليب التي تحتاجها الأم في تربية الطفل

علينا أن نُذكّر الأم الفاضلة ببعض ما يمكن أن تحتاج إليه، من ثقافة وتتبعه من أساليب في تربية أطفالها، إلى جانب ذكر بعض ما تقع فيه بعض الأمهات من أخطاء أثناء عملية التربية، والله المستعان..

أولاً: إن أول ما على الأبوين توفيرُه لتربية صالحة، هو توفير الجو الملائم لنمو الطفل، فالجهود التربوية مهما كانت عظيمة، لا تؤتي ثمارها على النحو المطلوب إلا إذا تهيأت البيئة الصحية، التي تكتنف حياة الطفل وتغذيها بالمشاعر والمفاهيم غير الملموسة وغير المنطوقة.

لا يمكن لتربية حسنة أن توجد في بيت يسوده الخصام والنزاع بين الأبوين؛ ولذا فإن الوفاق الأسري مسؤولية مشتركة بين جميع من يعيشون تحت سقف واحد، ولاسيما الزوجين.

ولا يكون ثمة وفاق إذا لم يكن هنالك تنازل من كلا الطرفين، وتفهم لأمر جوهري، هو أن أساس العلاقة بين الزوجين لا يقوم على المشابهة، وإنما على المخالفة، على مبدأ: **نختلف لنأتلف**.

ثانياً: ولابد إلى جانب هذا من تحديد الدور التربوي للأجداد والجدات، إذا كانوا يعيشون في البيت نفسه؛ فعدم الاتفاق في هذا الشأن يُفسد العملية التربوية، ويجعل الطفل في حَيرة من أمره.

ثالثاً: ولا ينبغي أن يقتصر دور الأبوين على أجواء الوفاق في الأسرة، بل ينبغي أن يتجاوز ذلك إلى إشاعة الاحترام المتبادل بينهما:

لأن ذلك أدب من آداب الشريعة الغراء.. **ولأن** ذلك يجعل الطفل يتشبع بروح الاحترام والتقدير للكبار، وخاصة الأبوين.

رابعاً: على الأم أن تحاول تنظيم أوقات ثابتة للوجبات الغذائية، وأن تمتلك شيئاً من الثقافة الصحية والغذائية؛ حتى تقدم لأسرتها وجبات متوازنة وغنية بما يحتاجه نمو الأطفال..

وقد صارت الحاجة إلى هذه الثقافة أكثرَ إلحاحاً اليوم من أي وقت مضى؛ حيث إن ما يراه ويسمعه الأطفال، من دعايات وإعلانات قد جذبهم إلى أغذية كثيرة:

قد لا تكون هي الأفضل..

وقد لا تكون هي الأنسب للطفل ولصحته.

ونحن نعلم أن الهندسة الوراثية تدخل اليوم في آلاف الأصناف من الأغذية، ونتائجها لم تُختبر بعد، وقد تؤدي إلى أضرار بالغة.

خامساً: على الأم إلى جانب هذا أن تجعل الحياة في بيتها آمنة، فلا تجعل النار أو الأدوات الحادة في متناول أطفالها..

وعليها أن تعطي انتباهاً خاصاً للأدوية، فتبعدُها عن أيدي الأطفال.

سادساً: في الماضي كانت تعيش أسر كبيرة في غرف قليلة، لكن الناس في الماضي لم يكونوا مطالبين بأشياء كثيرة أضحت اليوم مهمةً للغاية.

فالفتى لا يستطيع أن يُذاكر دروسه، ويكتب واجباته، مع خمسة من الإخوة والأخوات في غرفة واحدة.

فإذا أمكن أن تكون للطفل حجرتُه الخاصة.. فبها ونعمت.

وإذا لم يكن كذلك.. فليكُن له حيز خاص في الغرفة، كخزانة أو رف خاص به.

سابعاً: والأم مع كل هـذا مـسؤولة مـسؤولية تامـة عـن تنظـيم بيتهـا وترتيبه، بحيث يكون جذاباً للإقامة فيه؛ فالبيت المتسخ والفوضـوي، المملوء بالأشياء المبعثـرة، يـدفع سـاكنيه دفعـاً إلى مغادرتـه والخـروج منه..وإذا غادر الطفل المنـزل تلقفه الشارع، وهناك يتعلم الكثير الكثير من الأمور السيئة.

لهذا كله فإن تجميل المنـزل وتنظيفه، قد يصبح قربـة إلى الله ﷻ إذا قصدت الأم بذلك راحة أسرتها، وإبعـاد أطفالهـا عـن رفقـاء الـسوء، الذين قد يتلقفونه إذا هو أكثَرَ الخروج من البيت.

الحاجات النفسية للطفل الناجح

كثيراً ما تتساءل الأمهات عن حاجات الطفل النفسية، التي يصعب عليها أن تتعلم كثيراً منها من والدتها التي ربتها وربت أخواتها وإخوتها من قبل..

والحقيقة أن لدى كثير من الأمهات قصوراً في هذا الجانب؛ إذ إن كثيرات منهن صرن أمهات وباشرن عملية التربية على نحو دائم، دون أن يطلعن على كتاب تربوي واحد ينير لهن الطريق؛ ولذا فإنهن يبذلن الكثير من الجهد، ويلقين الكثير من العناء، دون الحصول على نتائج جيدة.

إن التربية الإسلامية الصحيحة تستهدف أن يكون الطفل صالحاً ناجحاً، وحتى نصل إلى ذلك فهناك حاجات نفسية عديدة للطفل يجب تلبيتها، منها:

الحاجة الأولى: الحاجة إلى المخاطرة والمغامرة، فهو حين يكتشف عالم الكبار يقوم بحركات وأنشطة كثيرة جداً، وقد لا تخلو من شيء من الخطورة.

وعلى الأم أن لا تتضايق من كثرة أنشطة ولدها، ولكن تراقبُ الألعاب التي يمكن أن تشكل بعض الخطورة عليه.

إن حاجة الطفل إلى اللعب حاجة كبيرة جداً، فدعي طفلك

يتحرك ويغامر ويخاطر، فذلك هو سبيله إلى اكتساب الخبرات، ووفري له المكان الذي يلعب فيه.

الحاجة الثانية: الطفل بحاجة إلى التعاطف، أي أن يكون محبوباً ومحباً، فالسلام الداخلي في نفسه وقلبه لا ينمو **إلا** إذا فاضت عليه، من محيطه مشاعر الحب والعطف والحنان.

وسبحان الله العظيم.. فقد أثبتت الدراسات أن الطفل يتعرف على أمه منذ أيامه الأولى، بواسطة حاسة الشم، ويبدأ ارتباطه بها بوقت مبكر جداً.. وحتى تنمو لديه مشاعر العطف والحنان، فعلى أمه أن تضمه بين الفينة والفينة إلى صدرها وتداعبه وتناغيه.

وهو بحاجة إلى أن يكون محباً أيضاً، والدمية الصغيرة في يد الطفلة تنمي لديها مشاعر العطف، وتلبي هذه الحاجة.

الحاجة الثالثة: الطفل بحاجة إلى التكريم والتشجيع، وعلى الأم أن تكون على وعي بأن الطفل ليس ناقص المشاعر، وإن كان ناقص الخبرات، وهو يشعر بما يشعر به الكبار.

ابنُ سنة إذا عَبَّست في وجهه وقطَّبتَ حاجبيك..بكى ؛ **لأنه** شعر أن وضعية وجهك تعني الغضب.

الطفل الذي تعود مواقف المذلة من مربيه وذويه يُستنفَذُ رصيده

كله، وتضيع فيه بالتالي جهود المربين، وحين يمتلك مشاعر العزة والأنَفة، فإنه يمكن آنذاك أن نقول له: هذا لا يليق بك.. ومثلك لا يفعل هذا. ويكون لهذا الكلام معنى لديه.

الكبار والصغار يحتاجون إلى التكريم والتقدير؛ لأنهم بذلك: **يتأكدون** من سمو مكانتهم لدى الآخرين.. **يتأكدون** من أنهم أكفاء اجتماعياً.. الطفل بحاجة أيضاً إلى التشجيع والتحفيز، فهو لنقص خبراته يجب أن يتأكد بأنه على الطريق الصحيح، ولا شيء كالتشجيع يوفر له ذلك: **إذا** قدم لكِ الطفل كأس ماء.. فقولي له: شكراً.. **إذا** حفظ جزءاً من القرآن الكريم.. فقدمي له هدية.. **إذا** تفوق في دروسه.. فأشيدي به وكافئيه.

علينا أن نشعره دائماً أنه يمتلك إمكانات النجاح ومتطلبات التفوق والتقدم، وأننا سعداء ومغتبطون بما يحققه ويتميز به.

الحاجة الرابعة: الطفل لن ينمو النمو الجيد إلا إذا أتحنا له قسطاً من الحرية، وهذا ليس مهماً لنموه الجسدي فحسب، وإنما مهم أيضاً لنموه النفسي والعقلي والروحي.

ومع إيماننا بأهمية الإشراف على الطفل ووجود سلطة ضابطة في البيت تتدخل عند الحاجة، إلا أن من المهم جداً أن يشعر الطفل:

أن أمامه خيارات عديدة في كثير من الأحيـان.. **وأنـه** يـستطيع أن يرفض بعض الأمور التي لا ترضي ذوقه الشخصي، مما يتعلـق بطعامـه وشرابه ولباسه وعلاقاته.

الأسلوب الأمثل في تنشئة الأطفال

إن كثيراً من الأمهات يقعْنَ في حيرة شديدة إزاء التعامل مع أطفالهن، وإن كثيرات منهن يصلن إلى مرحلة اليأس من النجاح في مهماتهن التربوية..ولذا فإن تساؤلات كثيرة تدور في أذهانهن حول الأسلوب الأمثل الذي يمكن لهن اتباعه في تنشئة أطفالهن.

ولعلنا نحاول هنا رسم بعض الخطوط العريضة في هذا الشأن، من خلال المفردات التالية:

أولاً: من المهم للمربية الفاضلة أن تعرف أن التربية مهمة لا تخلو من المشاق: **فمهما** تكن الأم مثقفة وواعية وحريصة.. **ومهما** تكن طبيعة طفلها ممتازةً وطيِّعة.. **ومهما** تكن الظروف التي تربي فيها مثالية..فإن شيئاً من الصعوبات والمنغِّصات سيظل ينتظرها في الطريق.

فنحن إذ نربي نتعامل مع كائن يتمتع بالعنصر الروحي والإرادة الحرة، ويكاد يكون كل طفل عبارة عن مخطوطة فريدة، يحتاج التعامل معها إلى فقه خاص.

ومع أن أي إنسان، ولاسيما الأطفال، يظل قابلاً لأن يتغير، إلا أن عنصر المرونة في أي واحد ممن نربيهم ليس مكتملاً. ومن ثَم فإن المربي يظل فيما يشبه حالة النزال مع من يربي، وأعتقد أن أكبر مشكلة

يواجهها المربون، هي العثور على نقطة توازن في التعامل مع مَن يقومون على تربيته وتوجيهه، توازنٍ بين اللين والشدة، وبين المتابعة وغض الطرف، والثواب والعقاب...

وتُعبر إحدى الأمهات الفاضلات عن بعض ما تلاقيه الأم في التربية، من خلال تجربتها الشخصية قائلة: " إني حاولت تطبيق المبادئ التربوية، فبدأت أشجع ولدي، وأذكر أن لديه قدرات ومهارات جيدة..وبعد مدة بدأ الفتى يتحدث عن نفسه، ويُعيِّر أخاه الأكبر منه بسنتين، بأنه غبي ولا يمكن أن يكون له مستقبل.. وإلى جانب هذا كنتُ أمدحه، بأنه سريعٌ في تلبية ما يُطلب منه. وبعد مدة صار يتلكأ إذا طلبت منه شيئاً، ويقول: ليفعلْ ذلك فلان –يقصد أخاه– فأنا عملتُ ما فيه الكفاية.!!

تقول المربية الفاضلة: وهكذا كان عليَّ أن أراجع حساباتي، وأسير في الطريق المعاكس، فكففتُ عن الثناء على ذكائه ونشاطه، وجعلتُ أركز على التواضع وإنكار الذات والتقليل من شأن الذكاء في النجاح، والتركيز على الاستمرار في بذل الجهد والعمل الشاق، وفي الوقت نفسه قلَّلتُ من طلب الخدمات منه ؛ لأشعره بأن حياة البيت يمكن أن تستمر من غير خدماته."

وبناء على كل هذا، فليس هناك نصائح تربوية تصلح لكـل مـربٍّ ومربيـة، لكـن هنـاك خطـوط ومـؤشرات ومفـاهيم عامـة يمكـن أن نستخدمها في ممارساتنا التربوية، لكن لابد معها من الاجتهاد ومراعـاة خصوصية من نقوم على تربيته.

ثانيـاً: إن لغة الحال أهم من لغة المقال، وسيكون لكلام الأبـوين تأثيرُه الإيجابي في نفسية الطفل وسلوكه، إذا شـعر أنـه يعـيش في أسرة محترمة، حقق فيهـا الأبـوان نجاحـاً مقـدراً مـن خـلال جهـد دؤوب مشترك، ومن أهم ما يجعل الطفل يلمس ذلك الأمور التالية:

(1) احـترام كـل واحـد مـن الأبـوين للآخـر. **(2)** ممارسـة كـل مـنهما لمسؤولياته الأسرية. **(3)** معاملـة الطفـل بتقـدير واحـترام. **(4)** حـسن استخدام موارد الأسرة ودخلها المادي. **(5)** توافر معنى الحياة العائلية، من خـلال الاسـتمتاع بـاجتماع الأسرة، وانتظـار عـودة الغائـب مـن أفرادها بشوق ولهفة.

أما الأسر التي تختل فيها هذه المعاني، فإنها لا تـساعد أبناءهـا عـلى أن ينشؤوا النشأة الصحيحة.

ثالثاً: عالم الأطفال عالم غريب عن عالمنـا، فكيـف لـلأم دخـول

ذلك العالم..؟ تدل التجربة على أن أقصر طريق إلى ذلك العالم، هو طريق الرحمة والبر والعطف، فمن خلال الهدية والخدمة والملاطفة والبسمة والنظرة، تطفح نفوسهم بالبِشر والرضى والسرور والأمن، وآنذاك يمكن زرع بعض القيم والمفاهيم والأفكار، التي نرغب في تركها في ذلك العالَم قبل مغادرته.

بعض المربين والمربيات يفعل العكس من هذا، حين يقدم النصيحة بعد وجبة دسمة من اللوم والتقريع؛ ولذلك فنتائج تربيتهم دائماً مخيبة للآمال.

رابعاً: على الأم أن تتعامل مع طفلها بصدق وأمانة وواقعية، وذلك إذا ما أرادت له أن يكون في المستقبل صادقاً وأميناً وواقعياً.

إذا رفض الطفل تناول دواء مرٍّ، فلا تقولي له: " هذا الدواء حلو، ولكن أنت تشعر أنه مر.." **لكن** قولي له: " والله يا بني إنه مر، وأنا لما كنتُ صغيرة مثلك كنتُ أتضايق منه، ولكن لابد من أخذِه حتى يذهب عنك المرض بإذن الله، ويمكن أن تكون أفضل مني وأمضى عزيمة.."

الكذب داء خطير للغاية، وكثيراً ما يصاب به الطفل؛ نتيجة الصرامة الزائدة من قبل الأهل، فيعمد إليه الصغير؛ حتى ينجو من

العقوبة إذا وقع في خطأ من الأخطاء. ثم إن الطفل يجد متعة كبيرة في كثير من التصورات والخيالات. فهو مثلاً يشعر بالسعادة إذا تخيل في ذهنه مجموعةً من الأصدقاء في مثل سنه يتحكم فيهم ويأمرهم وينهاهم.

ولا بد من الانتباه لتلك الأخيلة، وردِّ الطفل إلى الواقع شيئاً فشيئاً؛ حتى لا تتحول إلى نقاط بداية لتعوُّد الكذب.. الكذب داء الإصابة به سهلة، والشفاء منه عسير، وإذا سمع الطفل أفراد أسرته يكذبون، فإنه سرعان ما يسري فيه هذا الداء الدويّ.

ومن جهة أخرى، فإن الطفل كثيراً ما يَطرح على أمه أسئلة لا تعرف أجوبتها، أو تجد في الجواب عليها نوعاً من الحرج. وفي هذه الحالة فلابد من التزام الصدق والحكمة؛ إذ يمكن للأم أن تتبع القاعدة الذهبية: " لا أدري.." وفي الإجابة على الأسئلة المحرجة، تتبع الحكمة فتقول له مثلاً: " معرفةُ هذا الأمر ليست مهمة لك الآن، وعندما تكبر ستعرفه بسهولة، وعليك الآن أن تتعلم كذا وكذا.. "

خامساً: يحب الطفل والديه وأسرته؛ **لأنهم** يتقبلونه على ما هو عليه؛ **ولأنهم** يقدِّمون له ما يقدمونه من الحب والرعاية والمعونة من غير شروط ودون مقابل. ومن المهم لكل أسرة تودُّ المحافظة على تماسكها أن تُبقي على هذه المعاني حية وفاعلة في علاقتها الداخلية.

وسيكون من المهم الانتباه للألفاظ التي توجهها الأم في تقويم طفلها وإرشاده..فإذا أخطأ الطفل، فإنه يجب توجيه النقد **لعمله، وليس لذاته**..فإذا رسب في المدرسة، فلا تقولي له: " لا خير فيك، ولا مستقبل ينتظرك " **ولكن**: ذُمِّي له الرسوب، ونبهيه إلى أسبابه، وحُضيه على النجاح، وابحثي معه كيف سيتعامل مع عام دراسي قادم.

إننا جميعاً كباراً وصغاراً نتقبل نقد عملٍ ما نقوم به، ولكننا جميعاً نرفض أن نُصنَّف تصنيفاً دائماً يوحي بالدونية الثابتة، والعجز والتأخر المستمر.

وعلى الأم أن تتجنب الكلمات القادحة العابرة، فالطفل يلتقطها ويُعمِل فيها خياله، وتسبب له أرقاً وخوفاً، والأم غافلة لا تظن أنها فعلت ما يسوء.. وعلى سبيل المثال، فإن إحدى الأمهات قالت يوماً: " إن ابنتي فلانة تشبه الصبيان، وعندما وُلِدَتْ كنا نظنها ذكراً؛ ولهذا سميناها باسمٍ مشتق من أبيها، سميناها سعدية ؛ لأن اسم أبيها سعد..! "

هذا يورث الطفلة الخوف من أن تكون غيرَ مرغوب فيها، وأن تكون ناقصة الأنوثة.

سادساً: سيظل الوعظ غير المباشر أكثرَ نفعاً، فالتلميح يحافظ على كبرياء الطفل، ويحفظ له كرامته ويُرقي مداركه، والطفل على كل حال

أكثرُ استجابة له من الأسلوب العنيف والتقريع الذي يُفقده ثقته بنفسه، ويربك وعيه.

وشيء جميل أن لا تفاتح الأم طفلها في كل ملاحظاتها، وهذا أدب رفيع تعلمناه من النبي ﷺ فإن حفصةَ رضي الله عنها حين أفشت إلى عائشة ما أسرها إليها النبي ﷺ وأطلعه الله على ذلك، لم يناقشها في جميع ما أفشته، وإنما فعل كما قال الله ﷻ: ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴾ [التحريم: 3]

قال الحسن: ما استقصى كريم قط [1].

قال سفيان: ما زال التغافل من شيم الكرام [2].

حاولي دائماً: **أن** تقللي من الأوامر والنواهي.. **أن** تقللي من تكليفاتك للطفل، قدر الإمكان.. **أن** تعتمدي في أوامرك ونواهيك أسلوب الشرح والتفسير والتعليل؛ حتى ترتكز تصرفات الطفل على الاقتناع والتفهم، وليس على الامتثال الأعمى.

---

(1) أورد هذا القول أكثر المفسرين، منهم القرطبي، والطبرسي، وابن الجوزي، وذلك في معرض تفسيرهم للآية السابقة.

(2) عون المعبود، كتاب: الأشربة، باب: في شراب العسل.

حاذري التهديد والتخويف؛ من أجل الردع والكف عن عمل بعض الأمور. فبعض الأمهات إذا أرادت منع طفلها من الخروج من البيت، خَوَّفته بالعفاريت والأشباح، أو قالت له: إذا خرجتَ دهستْكَ سيارة، أو خَطَفَكَ أحد المجرمين.! إن هذا الأسلوب يؤسس لدى الطفل نفسية الخوف والحذر الشديد، ويجعل منه جباناً دون أي مسوغ.

وكم هو جميل أن نعتمد في تربية أطفالنا أسلوب القَصص، فتحدِّث الأمهات والجدات الأطفالَ الصغار ببعض سير الرجال العظماء، والنساء العظيمات من أبناء وبنات هذه الأمة.

وإذا كان هناك خطأ ما وقع من أحد، شرحته للصغير، ونبهته بأسلوب غير مباشَر إلى توقي الوقوع في مثله.

حاولي أن تنمي لديه حسن المقارنة بين الأشياء، والمقارنة بين صور الخير والشر.. وهذا ما نجده في الكتاب العزيز، حيث يذكر الله ﷻ صوراً كثيرة عن أحوال الذين استجابوا لدعوات الأنبياء **و** الذين أعرضوا وكفروا.. وعن أحوال أهل الجنة **و**أحوال أهل النار..

وذلك لأن الأمور تزداد وضوحاً وتحديداً من خلال أضدادها، وكما قالوا: " **وبضدها تتميز الأشياء**."

إذا كذب الطفل، فحاولي ألا تقتصري على نهيه عن الكذب،

ولكن عرِّفيه على محاسن الصدق.. وإذا تحدثتِ له عن محاسن النجاح، فحدِّثيه أيضاً عن قبائح الإخفاق، وتجنبي الإسراف في كل ذلك.

سابعاً: علينا جميعاً أن لا نَظهر أمام الطفل بمظهر المعصوم الذي لا يُخطئ، ومظهر الكامل الذي لا عيب فيه ؛ فهذا مخالف للواقع، وهو مثالية لا أساس لها، والصواب إذا أخطأنا..أن نعترف بالخطأ.

وإذا أجمع أولادنا على ملاحظة، فعلينا **أن** نستمع لهم بأذن صاغية، **وأن** نستفيد منهم ونتجنب الوقوع فيما يرونه مأخذاً أو أمراً غير لائق أو غير صحيح. فقد عاتبَ اللهُ ﷻ النبيَّ ﷺ في شأن إعراضه عن الأعمى، وفي شأن أخذه للفداء من أسرى بدر، وفي أمور أخرى: **ليُعلمَنا** التناصح فيما بيننا. **ولنستفيد** من ذلك في تعاملنا مع بعضنا.

لا يعني هذا بالطبع أن نُسقط كل الحواجز، وأن لا نتحرز من أي شيء، فشيء جميل أن يرى الأولاد في أبويهم الكثير من الأمور التي يمكن أن يتخذوها قدوة فيهما، **ولكن** لا ينبغي أن يكون ذلك مصطنعاً ومتكلفاً.

ثامناً: العدل بين الأبناء واجب شرعي، وهو أحد متطلبات النجاح في التربية..

وقد نقلت لنا الآثار الصحيحة عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن والده

مَنَحه منيحةً (غلاماً) فرفضت أمُّه عمرة بنت رواحة ﵂ الأمرَ، حتى يشهد رسول الله ﷺ فذهب الأب إلى رسول الله يعرض عليه الأمر..

فسأله النبي ﵇ فقال: **أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا.**

قال: لا.. فقال ﷺ: **فَاتقُوا اللهَ واعدِلُوا بَيْنَ أولادِكُم**[1].

وفي رواية: **فإني لا أَشهَدُ على جَوْرٍ**[2].

قد تتفاوت مشاعرنا نحو أولادنا، وقد يكون هذا خارجاً عن إرادتنا وفوق طاقتنا، ولكن لا يصح إظهار تلك المشاعر وإعلانها.

بالنسبة للأمور المادية، فالأصل أن تكون التسوية بين أبناء الأسرة الواحدة مطلقة، **لكن** تتشكل ظروف وأوضاع تقتضي أن يُعطى أحد أبناء الأسرة أكثرَ من إخوانه. وذلك كأن يكون أحدهم يدرس في الجامعة، ويكون إخوته يعملون في بعض الأعمال.. **أو** يكون أحد الأبناء اختار تخصصاً تكاليفه أعلى من التخصصات التي اختارها إخوته. **أو** يكونَ في وضع صحي خاص يحتاج إنفاقاً خاصاً...وينبغي أن يتم كل ذلك في حدود الاعتدال، وفي دائرة المعروف.

---

(1) رواه البخاري، كتاب: الهبة، باب: الإشهاد في الهبة. رقم: 2447

(2) رواه مسلم،كتاب: الهبات، باب: كراهة تفضيل بعض الأولاد.رقم: 1623

تاسعاً ليس من العدل أن نطلب من جميع أبنائنا أداء واحداً في دراستهم وأشغالهم، فقد يكون لدى بعضهم إمكانات أدنى من إمكانات البعض الآخر، أو لهم ظروف مختلفة..

ولذا فعلى الأم أن تبتعد عن إجراء المقارنات بين أبنائها، وبينهم وبين الآخرين، كأن تقول:

أُنظر إلى فلان..كيف يكون الأولَ على مجموعته، وأنت ترسب.!!

أُنظر.. كيف يكسب فلان كذا وكذا، وأنت لا تكسب شيئاً.!!

إن هذه المقارنات غيرَ العادلة تُشوه نظر الولد إلى نفسه، وتُحطم ثقته بها، وقلما نحصل منها على شيء إيجابي.

عاشرا على الأم أن تعرف كيف توزع اهتماماتها بين أطفالها، فقد تهتم بالمولود الجديد، ويشعر المولود الأكبر منه سناً أنه خسر أمه؛ بسبب أخيه الصغير، فيحقد عليه وقد يؤذيه، وقد تتنبه لديه أحاسيس الشعور بالظلم ويعاني منها طويلاً.

ومن المعروف أن الطفل الأكبر يستأثر بالكثير الكثير من عناية أهله، كما أن آخر الأطفال يُعد عادة ابن الأسرة المدلل. أما الأطفال المتوسطون، فإن الاهتمام بهم يكون أقل ؛ ولذا لابد للأم والأسرة كلها

أن تلحظ مثلَ هذا المعنى، وطالما اشتعلت نار العداوة بين الإخوة ؛ بسبب تصرف الأبوين. وقد قَص الله ﷻ علينا قصة إخوة يوسف؛ لنأخذ منها العبرة والدرس.

الحادي عشر: كثيراً ما ترى الأم نفسها محتاجة إلى استخدام نوع من العقاب في تربية طفلها..

والعقاب أشكال: **أدناها** نظرة من طرَف العين، و**أقصاها** الضرب.

على الأم أن تدرك أن العقاب شيء إنِ احتاجت إليه، فلا ينبغي أن تجعله شيئاً أساسياً في تربية أبنائها..

أما الضرب فينبغي أن لا تلجأ إليه إلا عند الحاجة الملحة، وهو أشبه بالتداخل الجراحي، والذي لا يلجأ إليه الطبيب إلا عند تعذر أنواع العلاجات الأخرى.

وإذا كان لابد منه، فينبغي للأم أن تتقيد بالقيود التي ذكرها علماء التربية الإسلامية.

ومن تلك القيود:

- ✓ أن الطفل لا يضرب قبل سن العاشرة.
- ✓ ولا يجوز ضربه على الوجه أو الرأس.

✔ على الأم أن لا تضرب الطفل وهي في شدة غضبها، وإنما بعد أن تهدأ. **فالضرب ليس للانتقام، وإنما للتربية، وممارسته أثناء فورة الانفعال تجعله مبرِّحاً.**

على طريقة بعض القدماء حين كانوا يأتون إلى شيخ الكتَّاب بالطفل ويقولون: " لكَ اللحم ولنا العظم..!"

أي: اِضربه ما لم تكسر له عظماً.. وهذا خطأ فادح؛ فقد جعلَ معظمَ الأطفال يكرهون شيئاً اسمه الكُتّاب.

✔ لا يصح ضرب الطفل أمام الناس؛ فيتحول الضرب من وسيلة تأديب إلى وسيلة تشهير وفضحٍ للطفل، أمام الجيران والزملاء والأصدقاء.

خاتمة

إن التربية مهمة طويلة المدى، وثمراتها تحتاج إلى انتظار وصبر لا يَعرف النفاد، كما أنها تحتاج إلى تبديل في الأساليب المتبعة.

وعلى المربية أن تمتلك من المرونة الذهنية والنفسية ما يُمكنها من تغيير مواقفها، وقبل ذلك انطباعاتها نحو ابنها إذا ما تغير وتحسنت أوضاعه واستجاباته.

إن كل المنصفين يعرفون العناء الذي تلاقيه الأم في خدمة أسرتها وأطفالها، وستجد الأم بحول الله ثمارَ عملها في الدنيا براً وصلة ورعاية من أبنائها، عندما تكبر ويكبرون.

لكن الجزاء الأوفى ستسعد به الأمهات في الآخرة؛ حيث إن الأم التي ربت أطفالها على الفضيلة والاستقامة وحبِّ الخير، ستجد أن جميعَ ما عمله أولئك الأبناء من عمل صالح في صحيفتها، وهذا شيء عظيم ومدهش بكل المقاييس..

..هذا ما أحببتُ أن أتناوله في هذا الموضوع، وأسأل الله ﷻ:

أن ينفعنا بما نقول، وبما نسمع. وأن يلهمنا رشدنا في الأمر كله. وأن يوفقنا إلى ما هو خير وأبقى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

فهرس

مقدمة الشيخ الداعية: عدنان السقا	5
مقدمة الشيخ الداعية: معاذ الخطيب	6
مقدمة أ.د عبد الكريم	8
تمهيد	9
الاهتمام بالتربية	10
وظيفة المرأة الأساسية	11
القرار مفتاح النجاح	11
أهمية القدوة	12
شجاعة السيدة أسماء	15
صبرها	16
الإنسانية لا تورث	17
أمور هامة في تنشئة الأطفال	17
الأمر الأول: تنمية الوازع الديني	18
النفاق الاجتماعي	21
الأمر الثاني: الثبات على المبدأ	21
الأمر الثالث: السنن والآداب الشرعية	25
الأمر الرابع اللمسة الجمالية	28

التمدن في لغة الخطاب	30
الأم العارفة..والأم الجاهلة	31
الحسن..والقبح	32
الأمر الخامس: روح التضحية والعطاء	33
نماذج من سير بعض الصحابيات	35
الأمر السادس: تكوين الإنسان الناجح	37
المفاهيم التي تساعد الطفل على النجاح	37
المفهوم الأول: تعزيز ثقة الطفل بنفسه	38
المفهوم الثاني: التعرف على ميول الطفل الحقيقية	39
المفهوم الثالث: تنمية روح الإصرار على الاستمرار في بذل الجهد	40
المفهوم الرابع: تزكية الجانب الاجتماعي في شخصية الطفل	41
آداب الحياة السعيدة	45
آداب تنشئة الطفل	51
الأساليب التي تحتاجها الأم في تربية الطفل	55
الحاجات النفسية للطفل الناجح	59
الأسلوب الأمثل في تنشئة الأطفال	63
خاتمة	76

صدر من سلسلة البناء والترشيد

أ.د.عماد الدين الرشيد

سيكولوجيا الزواج. (ط2)	أسس الزواج. (ط2)	العلاقات الداخلية في الأسرة.
حقيقة العلاقة بين الأبوة والبنوة	اليهود تحت المجهر (ستة أعداد)	الصيام بعث الأمة الدائم
العزوبة إلى أين.. (ط2)	رحلة مع الطفولة	رفرفات العيد
موقع النفس البشرية في الإسلام		

الشيخ الداعية معاذ الخطيب

قوانين الحرب النفسية..	ممهدات النكاح	عشر نقاط تمنع اختلال الأسرة
إتقان الهندسة البشرية	اليهود تحت المجهر	رمضان..حياة بعد ضياع (ط2)
هكذا تكون الأمهات (ط2)	رحلة مع المراهقة: العادة السرية (ط2)	

أ. د عبد الكريم بكار

هكذا تكون الأمهات (ط2)	مواجهة مع المراهقة	كيف نرتقي بأنفسنا (ط2)
وهكذا يكون الآباء	النضج العقلي	الفرصة الذهبية
التوازن في حياة المسلم		

دروع الإمام	شيخ القراء كريم راجح
الحقيقة المنسية (ط2)	أ.د.محمد سعيد رمضان البوطي
الجهاد بالمال في سبيل الله (ط3)	د. نواف تكروري
هكذا علمتني الحياة (2،1)	الشيخ: علي عبد الخالق القرني
الاختلاف: أسسه وآدابه..	فضيلة الشيخ إسماعيل المجذوب
القيم الروحية وأثرها على العمل الخيري.	فضيلة الشيخ عدنان السقا

ترقبوا........ سلسلة السيرة النبوية المطهرة..

قريبـــــــــــــا

أ. د عبد الكريم بكار

البناء العقلي في القرآن الكريم	تدعيم الذات	كيف نرتقي بفكر أبنائنا
تنمية الشخصية (معرفة الذات)	لماذا تتصدع البيوت ؟	وضوح الرؤية
كيف نربّي من خلال الحوار	العدوانية عند الكبار والصغار	نهضة أمة
التغيير الشخصي: خطوط وآفاق	البناء النفسي لدى الشباب	الخطاب الدعوي
كيف تقرأ كتاباً	حـــــــ(تنمية الشخصية)ـــــــول	تدبير الشان الخاص
الحياة الطيبة	خالد بن الوليد	المسلم الإيجابي
أدب الزمان	صلاح الدين الأيوبي	الحافظ الذهبي
تحرير الروح	خطوط عريضة في شخصية ابن تيمية	
أ.د.عماد الدين الرشيد		
أثر أفلام الكرتون في تربية الطفل	الحب في كتاب الله ﷻ	الآبائية..
التقريب بين المذاهب	المرجعية.. دراسة في المفهوم القرآني	الحريات في الإسلام
مصر العربية	التصوير الفني في القرآن	حب الرسول وآل البيت
بلاد الشام	تعريف القرآن بالله	دراما النص القرآني
معالم الدعوة في القرآن	مفهوم نقد المتن بين النظر الفقهي والنظر الحديثي	
الشيخ الداعية معاذ الخطيب		
لا حياة من دون أخلاق	الثرثرة وأمن المعلومات	فضائل الشام
معالم الدعوة في القرآن	الظلم في العالم الإسلامي	مفتاحان للخير في بناء الأمة المسلمة
أهمية الحوار	فضيلة الشيخ عدنان السقا	
تعدد الزوجات: حاجة أمة لا شهوة رجال	د. نواف تكروري	
تنظيم علاقة المسلمين..	أ.د. بديع اللحام	
حب النبي وآل بيته.	فضيلة الشيخ: نعيم الحريري.	

ترقبوا .... سلسلة السيرة النبوية المطهرة..

هكذا تكون الأمهات

البيت مملكة صغيرة..

ومجموع البيوت مملكة كبيرة..

فإذا أصلحنا المملكة الصغيرة عن طريق الاهتمام بأهم مفتاح لها

والذي هو الأم..

نكون بذلك قد ارتقينا نحو الأمام في رفع سوية المملكة الكبيرة.

سلسلة البناء والترشيد

سلسلة مؤلفة من مئة عدد

نحو القمة
للطباعة والنشر
سورية - حمص